الفصل الثالث

التناوب

التناوب هو إحلال كلمة - قد تكون اسمًا أو فعلًا أو حرفًا - محل غيرها مما يناظرها، فتؤدِّى معناها، وتنوب عنها فى السياق.

والتناوب فى اللغة فيه معنى التبادل وتقسيم الأمر الواحد وتوزيعه، وفيه - أيضًا - معنى الإحلال، أى إحلال شىء محل شىء آخر، «يقال للقوم فى السَّفَر: يَتَناوَبُونَ، ويتَنازَلُونَ، ويَتَطاعمُونَ، أى يأكلون عند هذا نُزْلَةً وعند هذا نُزْلَةً، والنُّزْلَةُ: الطَّعامُ يصنعُهُ لهم حتى يشبعُوا، يُقال: كانَ اليومَ على فلان نُزْلَتُنَا، وأكلْنا عند نُزلَتِنَا، وكذلك النَوْبَة، والتناوبُ على كلِّ واحدٍ منهُمْ نوبةٌ ينوبُها، أىْ طعام يوم»[1].

وجاء - أيضًا - فى اللسان: «تَنَاوَبَ القومُ الماء: تقاسمُوهُ على المَقْلَةِ، وهى حَصَاةُ القَسْمِ»[2]. وقيل - أيضًا - «تناوبنا الخطبَ والأمْرَ، نتناوبُهُ إذا قمنا به نَوْبَةً بعد نَوْبَة... وهم يتناوبونَ النَّوْبَةَ فيما بينهم فى الماء وغيره وناب الشىء عن الشىء ينُوبُ: قامَ مَقَامَهُ»[3].

وقيمة التناوب أنه لا يُثْبِتُ المعنى الكامن فى الكلمة الواردة فى السياق فحسب، بل تتم فى ذات الوقت عمليةُ استحضار للكلمة المنوب عنها، وما ينجرُّ عنها من معانٍ، فَتَحْدُث عمليةُ مزاوجةٍ بين الكلمتين المنوب عنها والنائبة، ومن ثَمَّ تَزَاوُجُ المعنيين، مما يؤدى فى النهاية إلى إثراء المعنى. إذن فالتناوب لا يلغى معنىً بمعنى آخر، بل يُثْبِتُ معنيين فى آنٍ واحد.

وقد انقسم البحث فى التناوب عند البارودى إلى أربعة أقسام:

- أولا: التناوب فى الأفعال.
- ثانيا: التناوب فى الأسماء.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة: نوب، ص٤٥٦٩.

(٢) المرجع السابق، مادة: نوب، ص٤٥٦٩.

(٣) المرجع السابق، مادة: نوب، ص٤٥٦٩.

- ثالثا: التناوب فى المصادر.

- رابعا: التناوب فى الحروف.

وقد اعتمد البحث فى ظواهر التناوب عند تأصيل معانى الأفعال أو الأسماء أو المصادر ودلالاتها على معجم لسان العرب ط. دار المعارف بتحقيق: عبدالله الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلى.

ومما يجدر ذكره أن البحث فى التناوب قد أفاد إفادةً كبيرة من شرح الديوان وتعليقات شارحيه على القصائد، خاصة الجزأين الثالث والرابع، فكانت الشروح - فى كثير من الأحيان - مفتاحًا للبحث فى ظواهر التناوب.

أولاً: التناوب بين الأفعال:

وتَرِدُ هذه الظاهرة فى سبعة وأربعين موضعًا تتوزَّع على ست صور كما يلى:

☆ الصورة الأولى:

أفعال تتعدَّى فى الأصل اللغوى بنفسها، وتتعدى فى السياق بحرف جر:

ويمثل هذه الصورة عشرةُ مواضع:

(١) لَقَدْ أَوْدَعَ البَيْنُ المُشِتُّ بِمُهْجَتِى ... نُدُوبًا، كَأَثْرِ الوَشْمِ مِنْ كَفِّ وَاشِمِ[١]

فقد تعدى الفعل «أَوْدَعَ» - بالباء - إلى مفعولين، على الرغم من أنه يتعدى فى الأصل بنفسه، وبذا ناب عن فعل آخر يتعدى بالباء مثل «تَرَكَ».

وبين الفعلين «أودع» و«ترك» علاقة وارتباط، فـ«قَوْلُهُم»: دَعْ هذا، أى اترُكْهُ، وَوَدَعَهُ يَدَعُهُ: تَرَكَهُ...»[٢].

وقيمة الفعل «أودع» - هنا - أنه يجعل هذه الندوب بمثابة وديعة عنده، فامتزج معنيان: معنى الوديعة ومعنى التَّرْك.

(٢) أَلاَ إِنَّ أَخْلاَقَ الرِّجَالِ وَإِنْ نَمَتْ ... فَأَرْبَعَةٌ مِنْهَا تَفُوقُ عَلَى الكُلِّ[٣]

فالفعل «فَاقَ» بعد تعديته بحرف الجر «على»، صار نائبًا عن فعل آخر يتعدى بهذا الحرف مثل «طَغَى».

---

(١) الديوان جـ٣، ص٢٨٥.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، مادة: ودع، ص٤٧٩٧.

(٣) الديوان جـ٣، ص٢١٥.

وثمة رابطة معنوية بين الفعلين: «فاق» و«طغى»، ففى اللسان: «فاق الشىء فَوْقًا وفواقًا: عَلاهُ.. وفاقَ الرَّجُلُ صاحِبَهُ: عَلاهُ وَغَلَبَهُ وفَضَلَهُ»[1]. أما «طغى» فإنه يتعدى بحرف الجر «على»، ولعل هذا هو الدافع إلى إحلال «تفوق على» محل «تطغى على»، وتدلنا قواعد معانى الحروف فى النحو العربى على أن من معانى حرف الجر «على» فى السياق إفادته الاستعلاء المعنوى، وقد اتضحت أوجه هذا الاستعلاء فى الموضع التالى:

وَقَارٌ بِلاَ كِبْرٍ، وَصَفْحٌ بِلاَ أذَى ... وجُودٌ بِلاَ مَنٍّ، وحِلْمٌ بِلاَ ذُلٍّ[2]

إذ فاقت هذه الخصال الأربع ما عداها من خصال وطغت عليها.

(٣) فما يَمُرُّ خَيالُ الغَدْرِ في خَلَدى ... ولاَ تَلُوحُ سِماتُ الشَّرِّ فِي خَالِى[3]

فقد تعدَّى الفعل «يمر» بـ «فى»، وهو يتعدى في الأصل بنفسه، كما قد يتعدى بالباء وبعلى، إذ يقال «مَرَّ عَلَيْهِ وبِهِ يَمُرُّ مَرًّا، أى اجْتازَ.... ومَرَّ يَمُرُّ مَرًّا ومُرورًا: جَاءَ وذَهَبَ»[4].

وهذا الفعل «يجوز أن يكون مما يتعدَّى بحرف وغير حرف»[5]، وهو في السياق الشعري السابق يكون بمعنى فعل آخر يتعدى بـ «فى» مثل «يَرِدُ»، ويكون المعنى على هذا أن خيال الغدر لا يَرِدُ في خَلَدِهِ ولا يمر به، يريد أنه لا يعرف من الغدر قليله أو كثيره.

(٤) تَأمّل إلى الدُّنْيَا بِعَيْنٍ بَصِيرة ... لَعَلكَ تَرْضَى بالقَلِيل مِنَ القَسْمِ[6]

وفيه تعدى الفعل «تأمل» بـ «إلى» - وهو في الأصل يتعدى بنفسه أو بـ «في» - فصار نائبًا عن فعل آخر يتعدى بـ «إلى» ويناظره في المعنى مثل «انظر».

وبين الفعلين - النائب والمنوب عنه - ارتباط معنوي، إذْ يقال: «تأملت الشىء، أى نظرت إليه مستثبتًا له. وتأمل الرجل: تثبَّتَ في الأمر والنظر»[7].

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، مادة، فوق، ص٣٤٨٧.
(٢) الديوان جـ٣، ص٢١٥.
(٣) الديوان جـ٣، ص٩٩.
(٤) ابن منظور: لسان العرب، مادة: مرر، ص٤١٧٤.
(٥) المرجع السابق، مادة، مرر، ص٤١٧٤.
(٦) الديوان جـ٣، ص٤٥١.
(٧) ابن منظور: لسان العرب، مادة: أمل، ص١٣٢.

وهو يريد أن يقول: انظر إلى الدنيا وتأملها، كأن المعنيين: النظر والتأمل، قد حضرا في السياق.

(٥) فَقُم عاطِنِيهَا قبل أن يَحْكُمَ النُّهَى عَلَيَّ، وَيَسْتَهْوِى الزَّمانُ عَلَى زَهْوِى[١]

حيث ورد الفعل «يستهوى» - وهو في الأصل يتعدى بنفسه - متعديًا بـ «على»، إذْ يقال: «استهوته الشياطين: ذهبت بهواه وعقله...»[٢]. ويقال: «استهوته الشياطين: هوت به وأذهبته»[٣].

فالفعل «يستهوى» ناب عن فعل آخر يناظره ويتعدى بـ «على» مثل «يقضى». والمعنيان اللذان حضرا.... قبل أن يقضى الزمان على شبابي فيذهب به.

(٦) فَكَأنَّمَا افْتَرَسَتْ بِطَائِرِ حِلْمِهِ مَشْمُولَةٌ، أوْسَاغَ سُمَّ الأسودِ[٤]

وفيه تعدى الفعل «افترس» بالباء، وهو في الأصل يتعدى بنفسه[٥]، فناب عن فعل آخر يتعدى بهذا الحرف مثل «هوى بـ» أو «فتك بـ».

والمعنى الأول على الاستعارة: فكأن الخمر قد افترست طائر حلمه، والمعنى الآخر: كأن الخمر قد هوت بعقله وأذهبته.

(٧) تَمَلَّ بِالْمُلْكِ يَا عَبَّاسُ، وابْقَ لَنَا فِي نِعْمَةٍ لَمْ تُخَالِطْ صَفْوَهَا كَدَرُ[٦]

حيث ناب فعل الأمر «تملَّ» عن فعل آخر يناظره، ويتعدى بالباء مثل «تمتع». وبين الفعلين رابطة قوية، ففى اللسان «تَمَلَّى إخوانه: مُتِّعَ بهم. يقال مَلاَّكَ اللهُ حبيبك، أى مَتَّعك به وأعَاشكَ معه طويلًا.... وتمليتُ عمرى: استمتعتُ به»[٧].

(٨) أُعَاشِرُهم رَغْمًا، وَوَدِّى لَو انَّ لِي بِهِمْ نَعَماً أدْعُو بِهِ فَيُسَارِعُ[٨]

فالفعل «أدعو» يتعدى بنفسه، فيقال «دعوت فلانًا، أى صحت به

---

(١) الديوان جـ٤، ص٢٠٧.
(٢) ابن منظور: لسان العرب، مادة: هوى، ص٤٧٢٨.
(٣) المرجع السابق، مادة: هوى، ص٤٧٢٨.
(٤) الديوان جـ١، ص١٩٧.
(٥) ابن منظور: لسان العرب، مادة: فرس، ص٣٣٨٠.
(٦) الديوان جـ٢، ص٥١.
(٧) ابن منظور: لسان العرب، مادة: ملأ، ص٤٢٧٢.
(٨) الديوان جـ٢، ص٢٢١.

واستدعيته..»[1]. فيكون الفعل «أدعو» في السياق السابق - نائبًا عن الفعل «أصيح» الذي يمكن أن يتعدى بالباء.

(٩) لأيِّ خَلِيلٍ فِي الزَّمَانِ أرافِقُ وأكْثَرُ مَنْ لاقَيْتُ خبٌّ مُنَافِقُ؟[2]

إذْ ناب الفعل «أرافق» عن نظير له يتعدى باللام مثل «أحن» أو «أميل». والرفيق هو الصاحب في السفر[3].

والمعنيان: مَنْ هو الصديق الذي أرافقه؟... وأحن إلى مَنْ في هذا الزمان؟.

(١٠) وَاصْطَحِبْ بِمَنْ بَنْبَعَثُ المَرَحْ[4]

حيث تعدى فعل الأمر «اصطحب» بالباء، فناب عن مثيل له يتعدى بذات الحرف مثل «اقترِن». والفعلان بينهما صلة وثيقة، إذْ يقال: اصطحب الرجلان، وتصاحبا، واصطحب القوم: صَحِبَ بعضُهم بعضًا»[5].

أي: اصطحب بمن يبعث المرح واقترن به.

ونلاحظ في المواضع العشرة السابقة ارتباطًا قويًا بين الفعل الوارد في السياق والآخر المنوب عنه، إلى الحد الذي يكون فيه معنى الفعل المذكور - في بعض الحالات - مرادفًا في الاستعمال لمعنى الفعل المراد.

والدلالة الفنية في عملية استبدال فعل بآخر في هذه الصورة تكمن في الرغبة في توسيع المعنى، بحيث يتبادر إلى ذهن المتلقى معنيان بدلاً من معنًى واحد، فينصرف العقلُ إلى كلا المعنيين معًا، مما يؤدى - في النهاية - إلى إثراء معنى البيت.

☆ الصورة الثانية:

أفعال هي في الأصل اللغوى لازمةٌ، ولكنها وردت في السياق متعديةً.

وقد جاء على هذه الصورة موضعان: الأول قوله:

(١) تَأَلَّمْتُ فُقْدَانَ الأَحِبَّةِ جَازِعًا ومَنْ شَفَّهُ فَقْدُ الحَبِيبِ تَأَلَّمَا[6]

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة: دعا، ص١٣٨٦.

(٢) الديوان جـ٢، ص٣٣٨.

(٣) ابن منظور: لسان العرب، مادة: رفق، ص١٦٩٥.

(٤) الديوان جـ١، ص١٧٠.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، مادة: صحب، ص٢٤٠١.

(٦) الديوان جـ٣، ص٤٠٥.

فالفعل «تألم» لازم غير متعد، وقد تعدى - في السياق - إلى مفعول به، فصار نائبًا عن نظير له مثل «تَحَمَّل». وفي اللسان: «تألم فُلان من فُلان: إذا تَشَكَّى وتَوجَّعَ منه»[1]. والتشكِّى والتوجع لا يحدثان إلا بعد تَحَمُّل. فثمة علاقة بين الفعلين تألم وتحمل.

والمعنيان الواردان: لقد تحملت فقدان الأحبة... وتألمت منه.

أما الموضع الثاني فهو قوله:

(٢) تَجَافَى النَّومَ فِي طَلَبِ المَعَالِي وَطَابَ لِعَيْنِهِ فِيهَا السُّـــهَادُ[2]

إذْ تعدَّى الفعل «تجافى» إلى مفعول به، وهو في الأصل لازم، ففي اللسان: «جَفَا جَنْبُهُ عَنِ الفِراشِ وتَجَافَى: نبا عَنْـهُ ولَـمْ يطمئنَّ عَلَيْهِ. وجافيتُ جَنبى عَنِ الفِراش فَتَجَافى»[3]. والفعل بعد تعديته نابَ عن مثيل له يتعدى إلى مفعول به مثل «هَجَرَ». وبين الفعلين ارتباط في المعنى.

والمعنيان: لقد ترك النوم.... بل هجره، فالمعنى الثاني «الهَجْر» أقوى - من حيث الدلالة - من المعنى الأول.

وتبدو العلاقة واضحة في هذين الموضعين بين الفعلين المذكورين في السياق الشعرى والآخرين المنوب عنهما.

☆ الصورة الثالثة:

أفعال تتعدَّى في الأصل اللغوى بحرف جر معين، وتتعدى في السياق بغيره:

وتأتي هذه الصورة في ثلاثة عشر موضعًا:

(١) مُتشابِهُ الطَّرفين يُنْبِئ صَدْرُهُ عَمَّا تَلاَحَقَ، فهو بَادِى المَعْلَمِ[4]

فالفعل ينبئ يتعدى بالباء، وقد يتعدى بنفسه، وقد ناب في البيت عن فعل آخر يتعدى بـ «عن» مثل «يحكى»، فينبئ معناه يخبر[5]، وبذا تتضح الصلة بين الفعلين: «ينبئ» و«يخبر»؛ فشعره متشابه الطرفين، يخبر صدره عما تلاحق وينبئ به.

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، مادة: ألم، ص١١٣.

(٢) الديوان جـ١، ص٢٨٤.

(٣) ابن منظور: لسان العرب، مادة، جفا، ص٦٤٦.

(٤) الديوان جـ٣، ص٤٩٥.

(٥) ابن منظور: لسان العرب، مادة: نبأ، ص٤٣١٥.

(٢) يَصْبُو بِهَا الحَكَمِيُّ صَبْوَةَ عَاشِقٍ وتَخِفُّ مِن طَرَبٍ عَرِيكَةُ مُسْلِمِ[١]

حيث تعدى الفعل «يصبو» بالباء، وهو يتعدى في الأصل بـ«إلى»[٢]. وبذا يكون قد ناب عن فعل آخر يتعدى بالباء مثل «يغرم»[٣]. وبين الفعلين، الوارد في السياق والآخر المقصود علاقة وثيقة، فمن معانى الصَّبا: الميل إلى الشيء والشوق إليه[٤]. والمرء لا يميل إلى الشيء إلا إذا أُغرِمَ به.

(٣) عَطْفًا عَلَيَّ، فَلَمْ أَطْلُبْ إِلَيْكَ سِوَى أَنْ أَمْتِعَ العَيْنَ مِنْ تِمْثَالِكَ الحَسَنِ[٥]

إذْ تعدى الفعل «أمتع» بـ«مِنْ» وحقه أن يتعدى بالباء[٦]، فناب بذلك عن نظير له يتعدى بـ«مِنْ» مثل «أملأ».

والفعلان «أمتع» و«أملأ» بينهما رابطة، فامتلاء العين من المنظر الحسن متعة، فالعلاقة بين الفعلين: أملأ وأمتع علاقة سببية، أى أن أولهما سبب للآخر.

(٤) وَكَذَا اللئِيمُ إِذَا أَصَابَ كَرَامَةً غَادَى الصَّدِيقَ، ومَالَ بالإِخْوانِ[٧]

وفيه تعدى الفعل «مال» بالباء، وهو يتعدى في الأصل بـ«عن» ويفيد معنى الإعراض، ويتعدى بـ«على» متضمنًا معنى الظلم، كما قد يَرد لازمًا[٨]. وعلى ذلك يكون الفعل «مال» بمعنى فعل آخر يتعدى بالباء مثل «غَرَّر».

والمعنيان: ... غرر بالإخوان... وظَلَمَهُمْ.

(٥) أَعَاذِلُ، خَلِّنِي وشُئُونَ قَلْبِي وَخُذْ مَا شِئْتَهُ فِي أَيِّ شَانِ
فَقَدْ شَبَّ الهَوى مَنْ رَامَ نُصْحِي وَأَغْرَى فِي المَحَبَّةِ مَنْ نَهَانِي[٩]

حيث جاء الفعل «أغرى» متعديًا بـ«فى» وهو في الأصل يتعدى بالباء، وقد يتعدى

---

(١) الديوان جـ٣، ص٤٩٣.
(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة، صبا، ص٢٣٩٨.
(٣) انظر شرح البيت بالديوان جـ٣، ص٤٩٣.
(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة، صبا، ص٢٣٩٨.
(٥) الديوان جـ٤، ص٧٧.
(٦) ابن منظور، لسان العرب، مادة، متع، ص٤١٢٩.
(٧) الديوان جـ٤، ص٥٣.
(٨) ابن منظور، لسان العرب، مادة، ميل، ص٤٣٠٩.
(٩) الديوان جـ٤، ص٥٧.

بنفسه[1]. وهو ينوب في السياق عن فعل آخر يتعدى بـ«فى» ويشابهه في المعنى مثل «أوقع».

والمعنيان:... لقد أوقعنى مَنْ نهانى عن المحبة فيها... وأغرانى بها.

(٦) صَبَابَـةٌ أغْـرَتْ عَلَيَّ الأسىَ وَدَلَّـتِ السُّـهدَ عَلَى مَضْجَعِى[2]

فالفعل «أغرى» - هنا - بمعنى «حَرَّض» وفي الإغراء حث وتشجيع وتحريض.

(٧) إنّى فَقَدْتُ اليَوْمَ بَيْنَ بُيُوتِكُمْ عَقْلِـى، فَـرُدُّوهُ عَلَيَّ لأهْتَـدِى
أوْ فَاسْتَقِيدُونى بِبغْـضِ قِـيَـانِكُمْ حَـتَّى تَرُدَّ إلَيَّ نَفْسى أوْتَدِى[3]

إذ تعدى الفعل «استقاد» بالباء، وهو يتعدى بـ«مِنْ»[4]، فالأصل أن يقال: «استقبدونى من بعض قيانكم»؛ أى: سألتهم أن يقتصُّوا لى من هؤلاء القيان. وعلى ذلك يكون الفعل «استقاد» بمعنى «بادَلَ» أى: فبادلوني ببعض قيانكم. وبين الفعلين «استقاد» و«بادل» ارتباط؛ فإذا كان القَوَدُ قتل النفس بالنفس[5]، فإن المبادلة تعنى أخذ شىء مكان غيره[6].

(٨) عَلَى أننى لَمْ آتِ فِي الحُبِّ زَلَّةً تغُضُّ بِذِكْرِى فِي المَحَافِلِ أوْ تُزْرِى[7]

إذْ تعدى الفعل «تغض» بالباء، والأصل أن يتعدى بـ«مِنْ»[8]، فناب عن مثيل له يتعدى بالباء مثل «تزرى»، والمعنى في الفعلين يكاد يكون واحدًا، بل يمكن القول: إن اللفظين مترادفان، ومن ثَمَّ فهذا الترادف يؤدى إلى تأكيد المعنى.

والمعنيان:... تزرى بذكرى وتغض منه؛ أى تحقر من شأنه.

(٩) فَمَا بَلَغَتْ مَغِيبَ الشَّمْسِ حَتَّى أضَافَـتْ آتِـيًا مِنْـهُ بِمَاضِى[9]

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة: غرا، ص٣٢٥٠.
(٢) الديوان جـ٢، ص٢٣٠.
(٣) الديوان جـ١، ص١٩٨.
(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة: قود، ص٣٧٧١.
(٥) المرجع السابق، مادة: قود، ص٣٧٧١.
(٦) المرجع السابق، مادة: بدل، ص٢٣١.
(٧) الديوان جـ٢، ص١٣.
(٨) ابن منظور، لسان العرب، مادة: غضض، ص٣٢٦٦.
(٩) الديوان جـ٢، ص١٩٣.

حيث تعدَّى الفعل «أضاف» بالباء، والأصل بـ«إلى»[1]، فصار نائبًا عن نظير له يتعدى بالباء مثل «وَصَلَ».

والمعنيان:... وصلتْ آتيًا بماض، وأضافته إليه، إذْ الإضافة وَصْلٌ.

(١٠) أَنَاةٌ بَرَاهَا اللهُ فِي الحُسْنِ آيَةً يَدِينُ إِلَيْهَا جَاهِلٌ وَحَلِيمُ[2]

إذْ تعدى الفعل «يدين» بـ«إلى»، والأصل أن يتعدى باللام[3]، فكان بذلك نائبًا عن مثيل له يتعدى بـ«إلى» مثل «يميل».

والمعنيان: يميل إليها جاهل وحليم، ويخضعان لها.

(١١) وَلاَ تَعْتَرِفْ بِالذُّلِّ فِي طَلَبِ الغِنَى فَإِنَّ الغِنَى فِي الذُّلِّ شَرٌّ مِنَ الفَقْرِ[4]

والفعل «اعترف» يتعدى باللام، فيقال: «اعترف للأمر» أى صَبَرَ، ويتعدى بالباء، فيقال: «اعترف بذنبه» أى أَقَرَّ به، كما يَرِدُ لازمًا، فيقال: «اعترف فُلان» إذا ذلَّ وانقاد[5].

والمعنى في السياق كان يقضى أن يتعدى الفعل باللام، ويكون المراد حينئذ: لا تصبر على الذل.... أما وقد تعدى بالباء فإنه ينوب عن فعل آخر يناظره ويتعدى بهذا الحرف مثل «رَضِىَ».

والمعنى: «لا ترضَ بالذل...». وبين «الصبر» على الشىء «والرضا» به صلة قوية.

والمعنيان: لا ترضَ بالذل، ولا تصبر عليه.

(١٢) لَهُ بَدَهَاتٌ لاَ تَغِبُّ، وَعَزْمَةٌ مُؤَيَّدَةٌ، تَعْنُو إِلَيْهَا الجَحَافِلُ[6]

حيث تعدى الفعل «عنا» بـ«إلى»، والأصل أن يتعدى باللام[7]، فناب بذلك عن مثيل له، مثل «مالَ». وثمة علاقة بين «العُنُوّ»، أى الخضوع و«الميل»، فالأول يعنى

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، مادة: ضيف، ص٢٦٢٦.

(٢) الديوان جـ٣، ص٥٠٩.

(٣) ابن منظور: لسان العرب، مادة: دين، ص١٤٦٧.

(٤) الديوان جـ٢،ص١٥، وقد وَرَدَ نفسُ الفعل بذات الصورة في موضع آخر بالديوان جـ٣،ص٨٢.

(٥) ابن منظور: لسان العرب، مادة: عرف، ص٢٨٩٩.

(٦) الديوان جـ٣، ص١٢٦.

(٧) انظر شرح البيت بالديوان جـ٣، ص١٢٦، ١٢٧.

الخضوع والطاعة[1]، والثاني يعنى العدول إلى الشيء والإقبال عليه[2]، وإطاعة الأمر (أو للشخص) إقبال عليه.

والمعنيان:... تميل إليها الجحافل، وتخضع لها.

(١٣) فَلاَ تَسْأَلْ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ وَلاَ تَسْأَلْ عَلَى مَا كَانَ مِنِّى[3]

والأصل: تسأل عن[4]، وبذا ناب الفعل عن نظير له يتعدى بـ«على» مثل «يقف».

وبين الفعلين «سأل» و«وقف» ارتباط، ففى السؤال عن الشيء استخبار عن أمره[5]، وفي الوقوف عليه فهمٌ له وتبين لحقيقته[6].

والمعنيان: فلا تقف على (هذا الأمر)، ولا تسأل عنه.

☆ الصورة الرابعة:

أفعالٌ تتعدى في الأصل اللغوى بحرف جرّ، وترِدُ في السياق متعدِّية بنفسها.

وقوام هذه الصورة سبعة مواضع:

(١) طُفتُ البِلاَدَ، وَجُبْتُ العِبَادَ، فَلَمْ أَرَكَنْ لِحِلٍّ، وَلَمْ أَجْنَحْ إلى سكَنِ[7]

فالفعل «طاف» يتعدى بالباء، وبـ«على»، وبـ«فى»، فيقال: طاف بالقوم وعليهم.. وطاف حول الشيء... وطاف في البلاد...[8]، أى أن الفعل كان ينبغى أن يتعدى في السياق السابق بـ«فى» ولكنه تعدى بنفسه، فصار نائبًا عن فعل آخر مثل «زار»، ويكون المعنى: «زرت البلاد»، وفي «الزيارة» طَوْف أو «تَطْواف».

والمعنيان: زرت البلاد وطفت بها (أو حولها....)، ومن الممكن أن يكون لفظ «البلاد» منصوبًا على نزع الخافض.

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، مادة: عنا، ص٣١٤٤.

(٢) المرجع السابق مادة: ميل، ص٤٣٠٩.

(٣) الديوان جـ٤، ص١٢٤.

(٤) انظر شرح البيت بالديوان جـ٤، ص١٢٤.

(٥) ابن منظور: لسان العرب، مادة: سأل، ص١٩٠٧.

(٦) المرجع السابق مادة: وقف، ص٤٨٩٩.

(٧) الديوان جـ٤، ص٨٠.

(٨) ابن منظور: لسان العرب، مادة: طوف، ص٢٧٢٢. ومادة: طيف، ص٢٧٣٩.

(٢) إذَا ارْتَاب امْرًا الْهَبَتْهُ حَفِيظَةٌ تُبيتُ الرِّضَا بالسُّخطِ، والحِلْمَ بالجَهْلِ[١]

والفعل «ارتاب» يتعدى بالباء ويكون بمعنى اتَّهَمَ، ويتعدى بـ«فى» ويصير معناه: شَكَّ، وقد يتعدى بنفسه، فيقال: ارتبت فلانًا، أى: اتهمته[٢].

وقد تعدى في البيت بنفسه، إلا أن معناه حين يتعدى بنفسه لا يتواءم مع معنى البيت، لذا فإنه كان يجب أن يتعدى بـ«فى»، أى: إذا شك في أمر. فالفعل ارتاب - في البيت - ينوب عن آخر يتعدى بنفسه مثل «خاف» أو «خشى»، أى: إذا خاف أمرًا...

وبين الشك والخوف صلةٌ نفسية وثيقة.

والمعنيان: إذا خاف أمرًا وشَكَّ فيه....

(٣) فَيَا بَرِقُ حَدِّثْنِي، وَأنْتَ مُصَدَّقٌ عَنِ الآلِ والأضْحَابِ مَا فَعَلوا بَعْدِي

وعن رَوْضَةِ المِقْيَاسِ تَجْرِي خِلالَهَا جَدَاوِلُ يُسْدِيهَا الغَمَامُ بِمَا يُسْدِي[٣]

فالفعل «يُسْدِي» يتعدى بـ«إلى» من السَّدَى وهو المعروف[٤]، وقد تعدى في البيت بنفسه نائبًا عن نظير له مثل «يعطى»، والفعلان بمعنى واحد، فالأفعال «أسدى وأولى بمعنى. يقال: أسديتُ إليه معروفًا أُسْدِي إسداءً»[٥].

إذن فالعلاقة بين الفعلين - الوارد في السياق والمنوب عنه - علاقة ترادف، وحضور الفعلين في السياق يؤكد المعنى ويقويه. ومعلوم أن أسدى من حيث المعنى من أفعال المنح، لأنها من أخوات أعطى، فتنصب مفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر، ويغلب تعديها بـ إلى، وقد وردت في هذا السياق متعدية بغير إلى.

(٤) أمِينٌ عَلَى غَيْبِ الصَّدِيقِ إذَا وَنَتْ عُهُودُ أنَاسٍ، أوْ تَطَرَّقَهَا فَتْرُ[٦]

حيث إن الفعل «تَطَرَّقَ» يتعدى أصلًا بـ«إلى»[٧]، فناب في البيت عن فعل آخر يتعدى بنفسه مثل «أصاب» أو «لَحِقَ»، وبين الفعلين علاقة ترادف.

---

(١) الديوان جـ٣، ص٨١.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة: ريب، ص١٧٨٨.

(٣) الديوان جـ١، ص٢٠٥.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة: سدا، ص١٩٧٩.

(٥) المرجع السابق مادة: سدا، ص١٩٧٩.

(٦) الديوان جـ٢، ص٦٧.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، مادة: طرق، ص٢٢٦٥.

(٥) فَقَرِّبْ لِى الخَيْرَ الذِى أنا رَاغِبٌ وَبَاعِدْنِى الشَّرَّ الذِى أنا حَاذِرُ[١]

إذْ إن الفعل «بَاعَدَ» يتعدى - في الأصل - بـ«عن» و«بين»[٢]، وقد ناب في البيت عن مثيل له يتعدى بنفسه مثل «وَقى»، والتقدير: «قِنِى الشَّرَّ..».

وبين المباعدة (أو البعاد) والوقاية ارتباط في المعنى.

(٦) أشْتَاقُ نَجْدًا وسَاكِنِيه وأَيْنَ مِنِّى الغَدَاة نَجْدُ؟[٣]

فالفعل «أشتاق» يتعدى - في الأصل - بـ«إلى»، وقد ناب في البيت عن فعل آخر يتعدى بنفسه ويناظره في المعنى مثل «أُحِبُّ». والصلة واضحة بين الفعلين؛ «فالشوق» لا يكون إلا عن «حُبٍّ»؛ فالعلاقة بين الفعلين علاقة سببية، أى أن أحدهما «الحب» مُسبب للآخر «الشوق». ويمكن أن يكون اللفظ «نجدًا» منصوبًا على نزع الخافض.

(٧) إذا أشْرْتُ لَهُمْ فِى حَاجَةٍ بَدَرُوا قَضَاءَهَا قَبْلَ أنْ يَرْتَدَّ إلْمَاعِى[٤]

والفعل «بَدَرَ» يتعدى أصلًا بـ«إلى»[٥]، وقد ناب هنا عن مثيل له يتعدى بنفسه مثل «أتمَّ».

والعلاقة بين الفعلين تكمن في أن البدور إلى الشيء يعنى الإسراع إليه[٦]، وإتمام الشيء يعنى بذل الوقت والجهد في سبيل إكماله، فالهمة والعزم يجمعان بين المعنيين. والمعنيان:... أسرعوا إلى الشيء وأتمُّوا تنفيذه.

☆ الصورة الخامسة:

أفعال تتعدى في الأصل اللغوى إلى مفعول به واحد، وتتعدى في السياق إلى مفعولين:

وتجئ هذه الصورة في موضع واحد هو:

أُغَالِطُهُ قَوْلِى، وَأَمْحَضُهُ الوَفَا كَأَنِّى بِمَا فِى صَدْرِهِ غَيْرُ عَالِمِ[٧]

---

(١) الديوان جـ٢، ص١٣٩.
(٢) ابن منظور: لسان العرب، مادة: بعد، ص٣٠٩، ٣١٠.
(٣) الديوان جـ١، ص٢٥٩.
(٤) الديوان جـ٢، ص٢٦٧.
(٥) ابن منظور: لسان العرب، مادة: بدر، ص٢٢٨.
(٦) المرجع السابق ص٢٢٨.
(٧) الديوان جـ٣، ص٢٨٩.

فالفعل «غالط» يتعدى في الأصل إلى مفعول به واحد[1]، ولكنه تعدَّى في الموضع السابق إلى مفعولين هما: الهاء في «أغالطه» وقول في «قولى»، والمعنى أخدعه بقولى.

والعلاقة بين الفعلين «أغالط» و«أخدع» تأتى من حيث إن أولهما يدل على الانحراف عن الصواب[2]، وثانيهما يشير إلى إظهار شىء مخالف لما يُخفيه المرء[3]، أى أن كِلَا الفعلين يَعنى الابتعاد عن «المثالية» في السلوك والتعامل.

☆ الصورة السادسة:

أفعال ترد بمعنى أفعال أخرى:

وعدد مواضع هذه الصورة أربعة عشر موضعًا:

(١) وَمَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا رَأَى مَا يَسُرُّهُ ... مِنَ العَيْشِ هَمًّا يَتْرُكِ الشُّهْدَ عَلْقَمَا[4]

فقد ورد الفعل «يترك» بمعنى فعل آخر أكثر ملاءمة منه في سياق البيت، وهو «يجعل»، أى: هَمًّا يجعل الشهد علقما. «والتَّرْك، الجَعْلُ في بعض اللغات»[5].

فالعلاقة بين الفعلين «يترك» و«يجعل» علاقة ترادف في الاستعمال.

(٢) تَرى لِجَوَابِيهَا أَزِيزًا، كَأَنها ... حَلَايَا تَغَنَّتْ فِي جَوَانِبِهَا النَّحْلُ[6]

فالأزيزُ، وهو صوت غليان القِدْر[7]، لا يُرى ولكن يُسمع، إذن فالفعل «ترى» بمعنى «تسمع»، والفعل بهذا يدل على شدة اضطراب الخمر في قدرها، ذلك أن الرؤية أشدُّ تأثيرًا في النفس وأكثر التصاقًا بالذهن من السمع. ويُلاحظ أن الفعلين «ترى» و«تسمع» حسِّيان ينبعان من حاستى البصر والسمع عند الإنسان، فبينهما اتصال وارتباط وثيقان.

ويتكرر هذا الفعل «ترى» بكل دلالاته مرة أخرى في قوله:

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة: غالط، ص٣٢٨١.

(٢) المرجع السابق مادة: غالط، ص٣٢٨١. وقد ورد الفعل «غالط» متعديا بنفسه إلى مفعول به واحد في موضعين: ٣-٢٨٩، و ٣-٣٠١.

(٣) المرجع السابق مادة: خدع، ص١١١٢.

(٤) الديوان جـ٣، ص٣٩٤.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، مادة: ترك، ص٤٣٠.

(٦) الديوان جـ٣، ص٤١.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، مادة: أزز، ص٧٢.

تَرى بَيْنَهُمْ - يَا فَرْقَ اللهُ بَيْنَهُمْ - لَهِيبَ صِيَاحٍ يَصْعَدُ الفَلَكَ العَالِي[1]

والمعنى تسمع صياحًا كاللهيب، ومفعول «ترى» التي بمعنى تسمع في هذا البيت، هو في الأصل الصياح بالطبع، ولكن الشاعر عَمَدَ إلى صورة المضاف والمضاف إليه للمبالغة، فبدلًا من أن يقول: تسمع صياحًا ملتهبًا قال: ترى لهيبَ صياح، فالرؤية تكون للهيب لا للصياح، لأن الصياح يُسمع ولا يُرى.

(٣) لَمْ يَنْظِمِ الحُوشِيَّ عُجْبًا بِهِ وَلَمْ يُسِمِّ الوَزْدَ بِالحَوْجَمِ
لَكِنَّهُ زَارَ الحِجَا، فَاكْتَفَى بِوَاضِحِ القَوْلِ عَنِ المُعْجَمِ[2]

فالمقصود من قوله: (فاكتفى بواضح القول عن المعجم) أن الممدوح قد آثرَ الكلام الواضح السهل وقنع به، وترك الغامض والمستبهم ونَفَرَ منه. إذن الفعل «اكتفى» يأتى بمعنى فعل آخر يماثله في المعنى مثل «استغنى» وهو مرادف[3].

وقد يكون الفعل «اكتفى» بمعناه - باعتبار أن في الكلام حذفًا - ويصبح التقدير: فاكتفى بواضح القول مستغنيًا عن المعجم.

(٤) كَمْ حَكِيمٍ ضَلَّ فِيهَا فَاكْتَسَى بِالعِلْمِ جَهْلا[4]

فلم يرد الفعل «اكتسى» بمعناه الأصلى، وإنما وَرَدَ بديلًا عن فعل آخر مثل «استبدل»[5]، وهو أكثر دلالة على المعنى المراد، ودليل ذلك «الباء» التي تلزم هذا الفعل وتدخل على المتروك، وهو - في السياق - العلم.

وبين «اكتسى» و«استبدل» صلة في المعنى، فالكسوة ما هى إلا استبدال حالة بأخرى، أى استبدال الكسوة بالعُرى.

(٥) مُخَادِعُنَا الدُّنْيَا، فَنَلْهُو، وَلَمْ نَخَلْ بِأَنَّ الرَّدَى حَتْمٌ عَلَى الحَيَوَانِ[6]

فالفعل «نخال» المجزوم بـ«لم» - وهو في الأصل بمعنى حسب أو ظن - يأتى هنا

---

(١) الديوان جـ٣، ص٢٥٠.
(٢) الديوان جـ٣، ص٥٥٨.
(٣) انظر شرح البيت بالديوان جـ٣، ص٥٥٨.
(٤) الديوان جـ٣، ص٢٦٠.
(٥) انظر شرح البيت بالديوان جـ٣، ص٢٦٠.
(٦) الديوان جـ٤، ص١٠٢.

بمعنى «نتيقن»[1]، فالدنيا تخدع الإنسان فلا يتيقّن بأن الموت محتوم على كل كائن حتى الحيوان. ويَرِدُ نفْسُ الفعل بمعناه السابق في قوله:

وَأَصْدَعُ الخَصْمَ، ومَا خِلْتُنِي أَصْدَعُ إلا البَطَلَ الأَصْيَدَا[2]

فالفعل «خال» كما يأتي بمعنى «ظن» يجيء أيضًا بمعنى عَلِمَ[3]، وعلى ذلك فالمعنى في السياق: «وما علمتني أصدع إلا البطل الأصيدا».

(٦) إنْ حَلّ أَرْضًا حَمَى بالسَّيْفِ جَانِبَهَا وإنْ وَعَى نَبْأَةً مِنْ صَارِخٍ رَكِبَا[4]

إذْ إن الفعل «وعى» - ومعناه: حَفِظَ وفهِمَ وقَبِل[5] - قد ورد هنا بمعنى «سمع»[6]، ودليل ذلك المفعول به الذي تلاه «نبأة»، ومعناها الصوت الخفي[7].

وربما تكون العلاقة بين الفعلين «وعى» - وهو الفعل المذكور - و«سمع» - وهو الفعل المراد - مردُّها أن في «سماع» الشيء فَهْمًا للمراد منه، و«الفهم» أحد معانى الفعل «وعى».

(٧) تَتْرُكُ المَاءَ لاَ يَسُوغُ لِظَامٍ وَتَرُدُّ الدَّمَ الحَرَامَ مُبَاحَا[8]

فالفعل «تَرُدُّ» يأتى في السياق بمعنى «تجعل».

ويمكن أن نتبين العلاقة بين الفعلين - الوارد والمراد - ببيان أن معنى «الرَّد: صَرْف الشيء ورجعُهُ»[9]، ومن المصدر الأخير «يقال: أرجع الله همه سرورًا، أى أبدل همه سرورًا»[10]، أى أن الفعل «رَدَّ» يعود - في النهاية - إلى معنى التبديل الذي يعنى «تغيير

---

(١) انظر شرح البيت بالديوان جـ٤، ص١٠٢.
(٢) الديوان جـ١، ص٢٧٣.
(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة: خيل، ص١٣٠٤.
(٤) الديوان جـ١، ص١١٦.
(٥) ابن منظور، لسان العرب، مادة: وعى، ص٤٨٧٦.
(٦) انظر شرح البيت بالديوان جـ١، ص١١٦.
(٧) ابن منظور، لسان العرب، مادة: نبأ، ص٤٣١٦.
(٨) الديوان جـ١، ص١٧٥.
(٩) ابن منظور، لسان العرب، مادة: ردد، ص١٦٢١.
(١٠) المرجع السابق مادة: رجع، ص١٥٩١.

الشيء عن حاله»[1]، وهو ما يتفق مع معنى الفعل المراد من سياق البيت، وهو «تجعل» الذي يقصد به التحويل، أى التغيير من حالة إلى أخرى.

فبين «ترد» و«تجعل» تَرادُف غير مباشر.

(٨) لَعَلَّ حَدِيثَ الشَّوْقِ يُطْفِئُ لَوْعَةً ... مِنَ الوَجْدِ، أوْ يَقْضِي بِصَاحِبِهِ الفقْدُ[2]

فالفعل «يقضى» في البيت بمعنى «يذهب»، أى يذهب بِصَاحِبِهِ الفقْدُ، يريد: يهلكه.

وثمة علاقة بين الفعلين، إذ الفعل «قضى» في اللغة على ضروب، كلُّها ترجع إلى معنى انقطاع الشيء وتمامه[3]، ومنه القاضية، أى الموت[4]، ويقال أيضًا: قد قضى فلان، أى مات ومضى[5].

أما «ذهَبَ به» فبمعنى أزالهُ[6]، أى أن انقطاع الشيء يعنى إزالته، فالفعلان بمعنى واحد.

(٩) لَوْلا اتِّقاء الحَيَاءِ لاعتَضْتُ بالْ ... حِلمِ هُيَامًا يَحِيقُ بِالجَلَدِ[7]

فالفعل «اعتاض» بمعنى «استبدل»[8]، ودليل ذلك دخول «الباء» على المتروك وهو «الحلْم».

والعلاقة بين الفعلين واضحة، إذ يقال: «اعتاضه مِنْهُ واستعاضهُ وتعوضَهُ كلُّهُ: سأل العِوَض»[9]، كما يقال: «عُضتُ فلانًا وأعَضتُهُ وعَوَّضْتُهُ: إذا أعطيتُهُ بَدَلَ ما ذَهَبَ منْهُ»[10]. والعِوَضْ: البَدَل»[11].

---

(١) المرجع السابق مادة: بدل، ص٢٣١.
(٢) الديوان جا، ص٢١٠.
(٣) ابن منظور: لسان العرب، مادة: قضى، ص٣٦٦٦.
(٤) المرجع السابق مادة: قضى، ص٣٦٦٥.
(٥) المرجع السابق مادة: قضى، ص٣٦٦٦.
(٦) المرجع السابق مادة: ذهب، ص١٥٢٢.
(٧) الديوان جا، ص٢٤٩.
(٨) انظر شرح البيت بالديوان جا، ص٢٤٩.
(٩) ابن منظور: لسان العرب، مادة: عوض، ص٣١٧١.
(١٠) المرجع السابق مادة: عوض، ص٣١٧٠.
(١١) المرجع السابق مادة: عوض، ص٣١٧٠.

أما الفعل المراد في سياق البيت وهو «استبدل» فيقال فيه: «تَبَدَّلَ الشيء وتبدَّل به واستبدله واستبدل به، كله: اتخذ منه بدلاً[1].

فالفعلان يعنيان - في النهاية - إحلال شيء محل آخر.

(١٠) أيُّهَا السَّاهِرُونَ حَوْلَ وِسَادِي لستُ منْكُمْ أوْ تذكرُوا لِيَ نجْدا

....

وَنَسيماً إذا سَرى ضَوَّعَ الأ فاق مِسْكا، وعَطَّرَ الجَوَّ ندَا[2]

إذْ إن الفعل «ضَوَّعَ» بمعنى «ملأ» و«ضوع» - في الأصل اللغوى - يعنى حَرَّك وهَيَّجَ[3].

والصلة بين الفعلين «ضَوَّعَ» و«ملأ» أن تضوع الريح يعنى انتشار رائحته، وهو ما يتفق تمامًا مع معنى امتلاء الآفاق بالمسك، إذ يقال «ضاع المسك وتضوَّع وتضيَّع؛ أى تحرك فانتشرت رائحته»[4].

(١١) شَفَتْ زجَاجَةَ فِكْرِى، فارْتَسمتْ بِهَا عُلْيَاكَ مِنْ مَنْطِقِى فِي لَوْحِ تصويرِ[5]

وارتسم - هنا - بمعنى «رسمت وصورت»[6]. والصلة بين الفعلين أن ارتسم يعنى امتثل، كما يعنى كَبَّرَ ودَعَا[7]، وامتثل الشيء يعنى - فيما يعنى - تصَوَّرَهُ[8].

من هنا يبدو معنى امتثل الذى تشير بعض دلالاته إلى معنى التصوير، وبذا تبرز العلاقة بين الفعلين المذكور والمراد.

(١٢) فَكَمْ سَمَلوا عَيْنا بِهَا تبصرُ العُلا وَشَلُّوا يَدا كانتْ بِهَا رَايةُ النَّصرِ[9]

فالفعل «شل» بمعنى «قطع»، لأن هذا الفعل يتعدى بالهمزة فيقال: أشَلَّ (اللهُ)

---

(١) المرجع السابق مادة: بدل، ص٢٣١.

(٢) الديوان جا، ص٢٧٦.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة: ضوع، ص٢٦٢٠.

(٤) المرجع السابق مادة: ضوع، ص٢٦٢٠.

(٥) الديوان جـ٢، ص٣٨.

(٦) انظر شرح البيت بالديوان جـ٢، ص٣٨.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، مادة: رسم، ص١٦٤٦.

(٨) المرجع السابق مادة: مثل، ص٤١٣٥.

(٩) الديوان جـ٢، ص٥٨.

يَدَهُ[1]. والفعلان بينهما صلة قوية، إذ إن أحد معانى الشلل «القطع»[2].

(١٣) تقلّدتْ مِنْ جُمَان الشُهب منطقةً مَعْقودةً بِوِشاحٍ غيرِ مِقْلاقِ[3]

والفعل «تقلّد» - في الأصل - يأتى في قوله: تقلّد السيف، أى حمله، وتقلدت المرأة أى وضعت القِلادة في عنقها[4].

«وتقلد» - هنا - بمعنى «لبسَ»، ودليل ذلك المفعول به «مِنْطَقة»، إذ يقال: «انْتَطَقَ الرَّجُلُ أى لَبِسَ المِنْطَق وَهُوَ كل ما شدَدْتَ به وَسَطَك»[5].

فالفعلان «تقلد» و«لبس» يشيران إلى معنى واحد.

(١٤) بَيْنَا تَرَاه كالزلالِ لطَافَةً .....

أوْ كالتُرابِ يَهِيلُ مِنْ عَقَدَاتِهِ أو كَالَهَواء يَجُولُ في آفاقِهِ[6]

فالفعل «هَالَ» يتعدى بـ«على» فيقال هَالَ عليه التراب هيلاً كما يتعدى بنفسه كما في قوله: هَالَ الرَّمْلَ أى دفعه[7]. والفعل المطاوع في الحالين «انهال»، وهو المراد من سياق البيت[8].

والصلة بين الفعلين واضحة، فالفعل المقصود هو مطاوع المذكور.

وتتضح في تلك الظاهرة العلاقة بين الأفعال المذكورة في السياق الشعرى والأخرى المقصودة، وهذه العلاقة تقوى - أحيانًا - إلى الحد الذي يكون فيه الفعل المقصود هو المرادف من حيث الاستعمال اللغوى للفعل المذكور، وتضعف - في بعض الأحيان - حتى إنه ليبدو أنه ليس ثمة علاقة بينهما، ولكن بالبحث في معانى الفعل المذكور نجد المعنى القريب من مثيله المقصود، ثم بالبحث مرة أخرى في هذا المعنى القريب يتضح المراد. وتتباين العلاقة بين الفعل المذكور والآخر المراد على النحو التالي:

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، مادة: شلل، ص٢٣١٦.

(٢) المرجع السابق مادة: شلل، ص٢٣١٦.

(٣) الديوان جـ٢، ص٣٢٧.

(٤) ابن منظور: لسان العرب، مادة: قلد، ص٣٧١٨.

(٥) المرجع السابق مادة: نطق، ص٤٤٦٣.

(٦) الديوان جـ٢، ص٣٤٦.

(٧) ابن منظور: لسان العرب، مادة: هيل، ص٤٧٣٨، ٤٧٣٩.

(٨) انظر شرح البيت بالديوان جـ٢، ص٣٤٦.

(١) الترادف التام بين المذكور والمراد: كما في الأفعال «يسدى/ يعطى، ويترك/ يجعل، واكتفى/ استغنى، واعتاض/ استبدل، وأودع/ ترك، وفاق/ علا، وتمل/ تمتع.

(٢) الترادف غير التام بين المذكور والمراد: كما في الفعلين «ترد» و«تجعل»، فالردُّ يعنى رجع الشئ، والإرجاع يعنى الإبدال، أى أن الفعل «رَدَّ» يشير إلى معنى التبديل والتغيير، وهو ما يتفق مع مدلول الفعل «جعل».

ويتضح هذا الترادف غير التام بين الفعلين «ينبئ» و«يحكى»، فينبئ - في الأصل - معناه يخبر، وفي «الحكاية» إخبارٌ.

(٣) وجود علاقة السببية بين المذكور والمراد: بمعنى أن أحدهما سبب للآخر، كما في الفعلين «تألم» و«تحمل»، والتألم لا يحدث إلا بعد تحمُّل، وفي الفعلين «اشتاق» و«أحبَّ»، فالشوق لا يكون إلا عن حب، وكذلك في الفعلين «يصبو» و«يغرم»، فمن معانى الصبا الميل إلى الشىء والشوق إليه، والمرء لا يميل إلى الشىء إلا إذا أغرم به.

(٤) اشتراك المذكور والمراد في الدلالة، ومثال ذلك «القود» و«المبادلة»، فالقود قتل النفس بالنفس، والمبادلة تعنى أخذ شىء مكان آخر.

وتتضح فكرة الاشتراك في الدلالة في الفعلين «اكتسى» و«استبدل»، ففى الكسوة استبدال حالة بأخرى، أى استبدال الكسوة بالعُرْى، وفي الفعلين «تسأل عن» و«تقف على» فالأول يعنى الاستفهام عن أمرٍ ما، والثاني يشير إلى الوقوف على أمر محدد بهدف فهمه.

ويُبْرِزُ هذه الفكرة أيضا الفعلان «ارتاب» و«خاف»، فالأول يعنى الشك والاتهامَ، والآخر يعبر عن شعور نفسي معين، والفعلان «أغالط» و«أخدع» من حيث إن أولهما تشير دلالاته إلى الابتعاد عن الصواب، بينما يعنى الثاني الانحراف عن الطريق السوى في المعاملة.

كذلك يُظهر هذه الفكرة الفعلان «باعد» و«وقى» اللذان يشيران إلى معنى التجنب والوقاية.

(٥) الارتباط المثالى بين المذكور والمراد، كما في الفعلين «وعَى» نباةً أى: سمع

نبأةً. فهو يفترض أن النبأةَ (أى الصوت الخفى) قد سُمِعَتْ وفُهم المرادُ منها، ومن هنا تبدو المثالية بين الفعلين.

(٦) الارتباط العكسي بين المذكور والمراد، كما في «ترى» بمعنى «سمع»، فالعلاقة بين الفعلين علاقة عكسية، فأولهما مصدره حاسة الإبصار، والآخر مصدره حاسة السمع.

(٧) الارتباط الجزئي بين المذكور والمراد، ومثال ذلك الفعلان «شل» و«قطع»؛ فالقطع أحد معانى الشلل.

obeikandl.com

إحصاء لظاهرة التناوب بين الأفعال في ديوان البارودى:

الصورة الأولى:

أفعال تتعدى - في الأصل اللغوى - بنفسها، وتتعدى في السياق بحرف جر:

(عشرة أفعال)

الفعل المذكور	الفعل المراد	الفعل المذكور	الفعل المراد
أَوْدَعَ	تَرَكَ	افْتَرَسَ	هَوَى
تَفُوقُ	تَطْغى	تَمَلُّ	تَمنَّع
يمر	يردُ	أدْعُو	أصيحُ
تأمَّل	انْظُرْ	أُرَافِقُ	أُحِنُّ
يهوى	يَقْصى	اصْطَحِبْ	اقْتَرِنْ

الصورة الثانية:

أفعال في الأصل اللغوى لازمة، وترد في السياق متعدية:

(فعلان)

الفعل المذكور	الفعل المراد	الفعل المذكور	الفعل المراد
تألَّمَ	تَحَمَّلَ	تجَافى	هَجَرَ

الصورة الثالثة:

أفعال تتعدى - في الأصل اللغوى - بحرف جر معين، وتتعدى في السياق بغيره:

(ثلاثة عشر فعلًا)

الفعل المذكور	الفعل المراد	الفعل المذكور	الفعل المراد
يُنبئ	يحكى	تَغُصُّ	تُزرى
يَصْبُو	يُغْرَمُ	أصاف	وَصَل
أمْتَع	أملأ	يَدينُ	يَميلُ
ملك	عَرَر	تَعْتَرِف	تَرْضى
أغْرى	أوْقَعَ	تَعْنُو	تميلُ
أغْرى	حرَصَ	تسْألْ	تقْف
ستفيد	بَادَل		

الصورة الرابعة:

أفعال تتعدى - في الأصل اللغوى - بحرف جر، وتَرِدُ في السياق متعدية بنفسها:

(سبعة أفعال)

الفعل المذكور	الفعل المراد	الفعل المذكور	الفعل المراد
طَافَ	زارَ	بَاعَدَ (بَاعَدْنى)	وَقى (قِنِى)
ارتاب	خافَ	اشتَاق	أحبَّ
يسْدى	يُعْطى	بَـدَرَ	أتَـمَّ
تَطرَّقَ	أصَابَ		

الصورة الخامسة:

أفعال تتعدى - في الأصل اللغوى - إلى مفعول به واحد، وتتعدى في السياق إلى مفعولين:

(فعل واحد)

الفعل المذكور	الفعل المراد
أغَالط	أخْدَعُ

الصورة السادسة:

أفعال ترِد بمعنى أفعال أخرى:

(أربعة عشر فعلًا)

الفعل المذكور	الفعل المراد	الفعل المذكور	الفعل المراد
يَتْرُكُ	يَجْعَلُ	يَقْضِى	يَذْهَبُ
تَرَى	تسْمَعُ	اعتاضَ	استَبْدَلُ
اكتَفَى	اسْتَغْنَى	صَوَّعَ	مَلأ
اكْتَسَى	استَبْدَلَ	ارتَسَمَ	صَوَّرَ
تخالُ	تَتَيَقَّنُ	سلَّ	قَطَعَ
وَعَى	سَمعَ	تقلَّدَ	لَبِسَ
تَرُدُّ	تَجْعَلُ	تَهِيلُ	يَنْهَالُ

ثانيا: التناوب بين الأسماء:

تعد ظاهرة التناوب بين الأسماء من الظواهر الأسلوبية اللافتة للنظر في شعر البارودى، ونعنى بهذه الظاهرة ورود اسم في السياق الشعرى بديلًا عن نظير له.

ولا يعنى ذلك أن أى اسم من الأسماء يَصْلُحُ لأن ينوب عن غيره، إذ لا بد أن تكون هناك مشابهة أو علاقة بين الاسم النائب الوارد في السياق والآخر المنوب عنه.

وتتضح تلك الظاهرة على النحو التالي:

(١) «المدمع» بمعنى «الدمع»:

ويرد هذا في اثنى عشر موضعا.

يقول:

هَوَى كَضَمِيرِ الزندِ، لَوْ أنَّ مَدْمَعى تَأخَّرَ عَنْ سُقْيَاهُ لاخْتَرَقَ الصَّلْدَ[١]

أى: لو أن دمعى تأخر عن سقياه...

«والمَدْمَعُ: مَسِيلُ الدَّمعِ»[٢]، وهو أيضا «مُجْتَمَعُ الدَّمْعِ فى نَوَاحِى العَيْنِ»[٣] والمدمع اسم مكان من «دَمَعَ» المفتوح العين في المضارع، أى أن اسم المكان «المدمع» قد ورد في السياق بمعنى الاسم «الدمع». ويأتى جمع كلٍّ من الاسم النائب والآخر المنوب عنه كما يلى:

«المدامع» بمعنى «الدموع»:

وقوام ذلك سبعة مواضع.

(١) كَأنَّ النَّدَى فَوقَ الشَّقِيقِ مَدَامِعٌ تَجُولُ بِخَدٍّ، أوْ جُمَان عَلَى تِبْرِ[٤]

يريد: كأن الندى فوق الشقيق دموع[٥].

(٢) «المآقى» بمعنى «الدُّمُوع»:

يقول:

تَلُومِينى عَلَى عَبَرَاتِ عينى؟ وَلَوْلاَ الحُبُّ لَمْ تَجْرِ المَآقِى[٦]

---

(١) الديوان جـ٢، ص١٤٧.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، مادة: دمع، ص١٤٢٢.

(٣) المرجع السابق مادة: دمع، ص١٤٢٢.

(٤) الديوان جـ٢، ص٤.

(٥) انظر شرح البيت بالديوان جـ٢، ص٤.

(٦) الديوان جـ٢، ص٣٢٣.

فالمآقى هى أطراف العين مما يلي الأنف، ومفردها «المَأقى» أو «المُؤقِى»[1].

ونلاحظ في المواضع السابقة ارتباطًا قويًا بين الاسم المذكور والآخر المراد، فالألفاظ: المدمع والمدامع والمآقى تعنى في الأصل مجرى الدمع من العين، ولكنه يُراد بها الدمع «أو الدموع»، والعلاقة بين هذه الأسماء النائبة والأخرى المنوب عنها علاقة مكانية، فاللفظ يدل - أساسا - على المكان، ولكنه في السياق يشير إلى الاسم ذاته.

(٣) «اللحظ» بمعنى «العين»:

هو:

فتـاةٌ كـأنَّ اللهَ صـوَّر لحْظهـا ... ليهْتِكَ أسْرار القُلُوبِ بهِ عَمْدا[2]

هي «كأن الله صور عينها».

ويأتى المثنى في قوله:

حَـوَاجِبُهَـا القِسِـيُّ، وَلَحْظَتَاهَا ... بِهَـا سَهْمَانِ، والأهدابُ رِيـشُ[3]

يريد... وعيناها بهما سهمان.

والجمع في قوله:

هَذِى لِحَاظُ الغِـيدِ بَيْـنَ شِعَابِكُمْ ... فَتَكَـتْ بِنَا خَلْسًا بِغَيْـرِ مُهَنَّدِ[4]

إذ «اللِّحاظ» مصدر لاحظته إذا راعيته، ويرى بعضهم أن لِحاظَ العين مؤخرُهَا مما يلي الصُّدغ[5].

وقد ثُنِّى اللحظ - وهو مصدر يعنى النظر بمؤخر العين - ثم جُمع على لحاظ.

ويلاحظ أن كل المواضع التي ورد فيها اللفظ ومثناه وجمعه في التغزل في الحبيبة ووصفها.

(٤) الجفن بمعنى العين:

يقول:

أقُـولُ والجَـفْنُ بكسُـو نِجَـادَهُ ... دُمُوعًا كَمُرْفَضِّ الجُمَانِ مِنَ العِقْدِ

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، مادة: مأق، ص٤١٢١.

(٢) الديوان جـ١، ص٢٦٦.

(٣) الديوان جـ٢، ص١٧٩.

(٤) الديوان جـ١، ص١٩٨.

(٥) ابن منظور: لسان العرب، مادة: لحظ، ص٤٠٠٨، وانظر شرح البيت بالديوان.

لقَدْ كُنْتَ لِي عَوْنًا على الدَّهرِ مَرَّةً فَمَا لِي أَرَاكَ اليَوْمَ مُنْثَلِمَ الحَدِّ؟[1]

والجَفْن غطاء العين من أعلى وأسفل[2]، وليس هذا هو المعنى المقصود، إنما يقصد بالجفن العين[3]، ودليل ذلك ورود الفعل «يكسو» والاسم الواقع مفعولًا به «دموعا»، فالجفن لا يكسو نجادَ السيف - أى حمائله - دموعًا، إنما هي العين.

والعلاقة بين الاسم الوارد في السياق الشعرى والآخر المنوب عنه واضحة وظاهرة، فاللحظ يصدر من العين، والجفن جزء منها، فالعلاقة بين اللفظين علاقة مكانية.

(٥) «الصَّدَى» بمعنى «الكلام»:

يقول:

بَكَيْتُ لَهَا وَلَمْ أُفْهِمْ صَدَاهَا وَقَدْ يَبْكِي مِنَ الطَّرَبِ الغريبُ[4]

وذكْرُ الصدى بدلًا من الكلام يدل على أن الباكية التي يتحدث عنها كان بكاؤها يدوى في الأرجاء، ويقوى هذا أن بكاءها كان بالليل. فهذا أبلغ مما لو قال: أفهم كلامها، إذ «الصَّدَى: ما يُجِيبُكَ مِنْ صَوْتِ الجَبَل ونَحْوِه بِمِثْل صَوتِكَ»[5].

(٦) «الدُّجَى» بمعنى «الليل»:

خَلِيلَيَّ، هَلْ طَالَ الدُّجَى؟ أمْ تَقَيْدتْ كَوَاكِبُهُ، أمْ ضَلَّ عَنْ نَهْجِهِ الغَدْ[6]

والدُّجَى: «الظُّلْمة، واحدتُها دُجْيَة»[7]، والظلام من سمات الليل. إذن فقد ذَكَر جزءا من مظاهر الليل - وهو الدُّجَى - وَقَصَدَ به الكلّ - أى الليل - وذكرَ الظلام لأنه يوحش النفوس ويخيف القلوب.

(٧) «المَيْسُور» بمعنى «القليل»:

يقول:

أصُدُّ عَنِ المَوْفُورِ يُدْرِكُهُ الحَنَا وأقْنَعُ بِالمَيْسورِ يَعْقبهُ الحَمْدُ[8]

---

(١) الديوان جا، ص٢٥٤.
(٢) ابن منظور: لسان العرب، مادة: جفن، ص٦٤٤.
(٣) انظر شرح البيت بالديوان جا، ص٢٥٤.
(٤) الديوان جا، ص١٢٤.
(٥) ابن منظور: لسان العرب، مادة: صدى، ص٢٤٢١.
(٦) الديوان جا، ص٢٦٣.
(٧) ابن منظور: لسان العرب، مادة: دجا، ص١٣٣٢.
(٨) الديوان جا، ص٢١٣.

«والميسور ضد المعسور»، وهو «ما يُسِّرَ»[1] أى ما تيسر وسَهُلَ. وليس هذا هو المعنى المقصود، إنما المقصود بالميسور: القليل اليسير[2].

وعلة الإتيان بهذا اللفظ مراعاة المشاكلة اللفظية والمزاوجة بينه وبين لفظ الموفور وكلاهما بوزن مفعول، مما يحقق - في النهاية التطابق الشكلى الكامل بين شطر البيت وعَجُزِه كما يلي:

أصُدُّ عَنِ المَوْفُورِ يُدْرِكُهُ الخَنَا ... وأقْنَعُ بِالمَيْسورِ يَعْقِبُهُ الحَمْدُ

فكل من الصدر والعجز يتركب من:

فعل مضارع + ضمير مستتر (فاعل) + جار ومجرور + فعل مضارع + ضمير (مفعول به) + فاعل.

(٨) «الغَيْث» بمعنى «الغَوث»:

يقول:

فَنَهَارُهُ غَيْثُ اللُّهِيفِ وَلَيْلُهُ ... فِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ لَيْلُ العُبَّدِ[3]

فالغيث هو «المطر والكلأ»[4]، وليس هو المعنى المراد، أما الغيث بمعنى الغوث - وهو النجدة والإعانة - فهو المعنى المقصود[5] والصلة بين اللفظين أن في الغيث نجدةً وإنقاذا من المَحْلِ والجَدْبِ.

(٩) «الضمير» بمعنى «القلب»:

يقول:

أبَى الشَّوْقُ إلاَّ أنْ يَحِنَّ ضَمِيرُ ... وَكُلُّ مَشُوقٍ بالحَنِينِ جَدِيرُ[6]

فالضمير «السرُّ، وداخل الخاطر»[7]، وهو الشيء الذي تُضْمِرُهُ في قلبك[8]. فالعلاقة بين الضمير والقلب - هنا - علاقة مكانية.

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، مادة: يسر، ص٤٩٥٨.
(٢) انظر شرح البيت بالديوان جـ١، ص٢١٣.
(٣) الديوان جـ١، ص١٨٠.
(٤) ابن منظور: لسان العرب، مادة: غيث، ص٣٣٢٣.
(٥) انظر شرح البيت بالديوان جـ١، ص١٨٠.
(٦) الديوان جـ٢، ص١٨.
(٧) ابن منظور: لسان العرب، مادة: ضمر، ص٢٦٠٦.
(٨) المرجع السابق مادة: ضمر، ص٢٦٠٦، ٢٦٠٧.

وتأتى الضمائر بمعنى القلوب في قوله:

فَيَا بُعْدَ مَا بَيْنِى وبَيْنَ أَحِبَّتِى! وَيَا قُرْبَ مَا التَفْتْ عَلَيْهِ الضَّمَائِرُ[1]

أى: يا قرب ما التفت عليه القلوب[2].

(١٠) «الرؤيا» بمعنى «الرؤية»:

يقول:

لَيْسَ فِيهِمْ مَنْ تَحْمَدُ العَيْنُ رُؤْيَا هُ، وَلاَ مِنْهُمْ إلى النَّفْسِ خِلُّ[3]

أى: ليس فيهم من تحمدُ العينُ رؤيتَهُ.

والرؤية هى «النظر بالعين والقلب»[4]، و«الرؤيا: ما رأيتَهُ في منامك»[5].

وثمة علاقة بين اللفظين من حيث دلالتهما على المشاهدة، إلا أن المعنى في الأول يشير إلى حدوثها في اليقظة، ويدل في الثاني على وقوعها في الحُلْم.

(١١) «الوَجْد» بمعنى «الوُجود والإعدام» بمعنى «العَدَم»:

يقول:

فَيَا مَنْ تَزْدَرِيهِ النَّفْسُ مِنْ ضَعَةٍ فَمَا يُحَسُّ لَهُ وَجْدٌ وإعْدَامُ[6]

فالوَجْد في السياق السابق بمعنى الوجود، كما أن الإعدام - هنا - بمعنى العَدَم[7]، فالعَدَم هو اللاوجود.

والإعدام يعنى الافتقار[8]، والعَدَم معناه فقدان الشىء وذهابُه[9] أى أن اللفظين يشيران إلى الفناء والزوال.

ويتضح من هذه المواضع التي ناب فيها الاسمُ عن نظير له ارتباطُ الشاعر الوثيق

---

(١) الديوان جـ٢، ص٨٥.

(٢) انظر شرح البيت بالديوان جـ٢، ص٨٥.

(٣) الديوان جـ٣، ص٢٤١.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة: رأى، ص١٥٣٧.

(٥) المرجع السابق مادة: رأى، ص١٥٤٠.

(٦) الديوان جـ٣، ص٤٧٣.

(٧) انظر شرح البيت بالديوان جـ٣، ص٤٧٣.

(٨) ابن منظور، لسان العرب، مادة: عدم، ص٢٨٤٢.

(٩) المرجع السابق مادة: عدم، ص٢٨٤٢.

بالتراث الشعرى وثقافته العربية الأصيلة، فالألفاظ إما مستمدة من البيئة البدوية القديمة، كما في «الدجى»، «الصدى» و«الغيث»، وإما نابعة من مواقف الحب والغرام التقليدية التى جرى عليها الشعراء مثل «المدمع» و«اللحظ» و«الضمير» و«الجفن».

أما العلاقات بين الألفاظ الواردة في السياق والأخرى المنوب عنها فيمكن تقسيمها إلى ما يلي:

(١) قد تكون العلاقة بين اللفظين - الوارد والمراد - مكانية، كما في «المدمع» بمعنى «الدمع»، فاسم المكان «المدمع» يرد في السياق بمعنى الاسم ذاته.

(٢) اللفظ المذكور أبلغ من مثيله المقصود، كما في «الصدى» بمعنى «الكلام»، وإن كان حدوث الأول - في الحقيقة - تاليا لوقوع الثاني.

(٣) قد تكون المشابهة بين اللفظ المذكور والآخر المراد راجعةً إلى أن المعنى المقصود كائن في ثنايا اللفظ المذكور في السياق، ويُبْرِزُ ذلك «الغيث» بمعنى «الغوث»، فكلاهما يشير إلى معنى النجدة والإنقاذ، و«الإعدام» بمعنى «العَدَم»، فالمعنى فيهما يدل على الزوال والفناء.

(٤) أن اللجوء إلى لفظ بدلًا من لفظ آخر قد يأتى لتحقيق التجانس بين ألفاظ البيت والمزاوجة بين شطرَيْهِ.

ثالثًا: التناوب بين المصادر

أ- مجئ المصدر نائبًا عن مصدر الفعل المذكور:

ويُقصد به أن ينوبَ المصدرُ المذكور في السياق عن مصدر الفعل الوارد في البيت، أى أن يأتى مفعول مطلق مرادفًا لمصدر آخر.

وقد وردت هذه الظاهرة في أربعة مواضع.

يقول:

(١) يَلُومُونَنِى انْ هِمْتُ وَجْدًا بِحُسنِهَا وأىُّ امرئٍ بِالحُسْنِ لَيْسَ يَهِيمُ[(١)]؟

فقد ناب المصدر «وَجْدًا» عن مصدر الفعل «هَامَ» وهو «هَيْمًا»[(٢)]. والفعلان

(١) الديوان ج٣، ص٥١٠.

(٢) للفعل هام مصادر أخرى، إذ يقال: هام بها هَيْمًا وهُيُوما وهُيامًا وتَهْيَامًا. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة: هيم، ص٤٧٣٩.

«وَجَدَ» و«هَامَ» بينهما صلة وثيقة، فالوَجْدُ هو شدة الحب[1]، والهُيام هو الجنون من العشق[2] وبدهى أنه لا يحدث إلا بعد حب شديد.

وليس أدل على قوة العلاقة بين الفعلين - وبالتالي بين المصدرين - من أنه يقال رجلٌ هيمانُ أى محبٌ شديدُ الوَجْدِ[3]. فالهُيام والوَجْد من حقل دلالى واحد ولكن بينهما درجات متفاوتة.

(٢) بخلتِ علينا بالسلامِ ضنانةً وَجَدتُكِ مَطْرُوقَ الفِنَاءِ كَرِيمُ[4]

إذْ ناب المصدر «ضنانة» عن مصدر الفعل «بَخِلَ».

وثمة صلة قوية بين «الضنانة» و«البُخْل»[5]، فالضنين هو البخيل[6]، إلا أن المعنى الكائن في المصدر «ضنانة» أقوى مما في مصدر الفعل «بخل»، فالضَّنُّ هو «الشيء النفيس المضنون به»[7]، فهو «ما تختصهُ وتضنُّ بـه، أى تبخلُ لمكانه منك وموقعه عندك»[8].

وعليه فإن المحبوبة قد ضنَّت بالسلام، لأن سلامها شيء نفيس لا تجود به إلا على من تشاء.

(٣) ..... نَظَرْتُ ....

إلى نِسْوَةٍ مِثْلِ الجُمَانِ تَنَاسَقَتْ فَرَائِدُهُ حُسْنًا، وأَلْفَهُ الشَّمْلُ[9]

أى: تناسقت فرائده تناسقًا، فناب المصدر «حسنا» عن مصدر الفعل «تَنَاسَقَ» من

---

(١) المرجع السابق مادة: وجد، ص٤٧٧٠.

(٢) المرجع السابق مادة: هيم، ص٤٧٣٩.

(٣) الديوان جـ٣، ص٥١٢.

(٤) المرجع السابق مادة: هيم، ص٤٧٤٠.

(٥) في البخل لغات أربع: البُخْل، والبُخُل، والبَخْل، والبَخَل: انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة: بخل، ص٢٢٢.

(٦) المرجع السابق مادة: ضنن، ص٢٦١٤.

(٧) المرجع السابق مادة: ضنن، ص٢٦١٤.

(٨) المرجع السابق مادة: ضنن، ص٢٦١٤.

(٩) الديوان جـ٣، ص٤٦.

حيث تناسُق عِقْد اللؤلؤ يعنى انتظامَ حباته في شكل واحد ونظام موحد[1]، وبه شُبه هؤلاء النسوة الفاتنات.

والتناسق في أى شىء لا بد أن يَتْبَعَهُ «حُسْنٌ» فيه. و«الحُسْنُ ضِدُّ القُبْحِ ونَقِيضُهُ[2]، ومن الأَوْلَى أن يكون هذا الحسنُ سِمَةً في هؤلاء الحسان.

(٤) رَأى مُقْلَتِى تَرْعَى رِيَاضَ جَمَالِهِ فَعَاقَبَهَا حَدْنِهِ بِالسُّهْدِ والدَّمْعِ[3]

إذْ ناب المفعول المطلق «حدين» عن مصدر الفعل «عاقب»[4]. والحَدُّ هو ما يمنع المُذْنبَ عن المعاودة[5]، فكأن الحب ذنب حده السهد والدمع، أى هما عقاب للمحب.

ومن الملاحظ أن هذه المصادر المنصوبة قد يُمكن تأويل بعضها على النصب على التمييز أو المفعول له - أيضًا.

ب- مجئ المصدر نائبا عن الحال:

يقول:

تَدُورُ مَدَارَ الطَّوْقِ مِنْ حَيْثُ تَلْتَقِى مَسِيرًا، وَتَنْسَلُّ انْسِلاَلَ الأَرَاقِمِ[6]

والمعنى في قوله: «تلتقى مسيرا» أنها، أى الجداول، تتلاقى سائرة[7] باعتبار المصدر «مسيرا» حالًا.

والصلة أن الحال المنوب عنه «سائرة» اسم فاعل من الفعل «سار».

وقد جاز أن يَرِدَ المصدرُ نائبا عن الحال، إذ «من المصادر ما يقع في موقع الحال فيسد مسده، فيكون حالًا، لأنه قد ناب عن اسم الفاعل وأغنى غَناءه»[8].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة، نسق، ص٤٤١٢.
(٢) المرجع السابق مادة، حسن، ص٨٧٧.
(٣) الديوان جـ٢، ص٢٣٦.
(٤) انظر شرح البيت بالديوان جـ٢، ص٢٣٦.
(٥) ابن منظور، لسان العرب، مادة: حدد، ص٧٩٩.
(٦) الديوان جـ٣، ص٣٤٢.
(٧) انظر شرح البيت بالديوان جـ٣، ص٣٤٢.
(٨) المبرد: المقتضب. تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٣٨٦هـ، جـ٣، ص٢٣٤.

ج- مجئ المصدر نائبا عن الصفة:

يقول:

تَرُوحُ وَتَغْدُو بَيْنَ أَفْنَانِ دَوْحَة سَقَاهَا مِنَ الوَسْمِيِّ مُسْتَوْكِفٌ غَزْرُ[1]

إذ إن «غَزْر» مصدر للفعل «غَزُرَ»[2]، وجاء هنا بمعنى «غزير»[3] والوصف بالمصدر - هنا - للتأكيد والمبالغة.

ويظهر من خلال ظاهرة التناوب بين المصادر وجودُ صلة قوية بين المصدر المذكور وما هو منوب عنه، سواء أكان مصدرا أم حالًا أم صفة.

أما الإنابة عن مصدر الفعل المذكور في السياق فقد تكون بسبب العلاقة الوثيقة بين الفعل المذكور وفعل المصدر الوارد، وبالتالى بين مصدريهما، بحيث يصلح أحدهما للإنابة عن الآخر كما في «همت وجدا».

وقد يَرِدُ المصدر النائب عن مصدر آخر لأنه أكثر دلالة على المعنى المراد، من حيث إنه يضيف إلى السياق دلالات جديدة، كما في «بخلت ضنانة»، و«تناسقت حسنا».

وقد يكون المصدر المذكور بنفس معنى المصدر المنوب عنه، كما في «فعاقبها حدين».

ويأتى المصدر نائبًا عن الحال، لأنه يؤدى دوره ويسد مسده، ويجئ كذلك نائبًا عن الصفة للتأكيد والمبالغة.

رابعًا: التناوب بين الحروف:

تتميز الحروف في الديوان بكثرتها العددية، وتنوع استخدامها، وهذه الكثرة وهذا التنوع يدلان على الثراء اللغوى عند الشاعر. والتناوب بين الحروف يشير إلى مدى القدرة على تطويع الحرف بحيث يأتى بديلًا عن حرف آخر دون إخلال بالمعنى المراد، وقد تحدث إضافة دلالات جديدة إلى هذا المعنى.

---

(١) الديوان جـ٢، ص٦٤.

(٢) يقال، غَزُرَ يَغزرُ غَزَارَة وغَزْرًا وَغُزْرًا، أى أن للفعل «غزر» ثلاثة مصادر. ابن منظور، لسان العرب، مادة، غزر، ص٣٢٥١.

(٣) انظر شرح البيت بالديوان جـ٢، ص٦٤.

وقد نبه ابن هشام إلى أن هناك أمورًا اشتُهِرَتْ بين المعربين والصواب خلافها، من ذلك قولهم إن بعض حروف الجر ينوب عن بعض[1]، فيرى أن الحرف باق على معناه وأن العامل ضمن معنى عامل يتعدى بذلك الحرف، لأن التجوز في الفعل أسهل منه في الحرف»[2].

ونرى أن في هذا مشقة في التضمين والتأويل، فإنه لا مانع في المجال الشعرى من التجوز في الحرف، على أساس أن وجود حرف بديل عن حرف آخر في السياق قد يؤدى إلى حضور معنيين: المعنى المفهوم من وجود الحرف المذكور، والمعنى المتخيَّل بافتراض الحرف المقصود. ولعل ذلك يتضح فيما يلي:

أولًا: الحروف أحادية البناء:

(١) الباء:

«الباء المفردة حرف جر لأربعة عشر معنى»[3] كما أحصاها ابن هشام في مغنى اللبيب، وقد ورد نائبا عن غيره في خمس حالات في ديوان البارودى هي:

١- ورود الباء بمعنى «مَعَ»:

يقول:

فَمَا رَوْضَـةٌ غَنَّـاء بَاكَرَهَا الحَيَا	**بِأَوْطَفَ سَاجٍ، أَشْعَلَ البَرْق سَاجِم**
.....	.....
بِأَلْطَفَ مِنْ أَخْلاَقِهِـمْ وَصِفَاتِهِـمْ	.....[4]

أى باكرها الحياة مع أوطف ساجٍ، أى سحاب أوطف بمعنى قريب من الأرض[5].

وذِكْرُ الباء بدلاً من «مع» يبرز معنى الارتباط بين الحيا (المطر) والسحاب. وَوَضْعُ «مع» بدلًا من «الباء» يُظْهِرُ أن ثمة مصاحبة بينهما.

فالمعنى المفهوم - وفقًا للحرف المذكور - هو الإلصاق والارتباط، والمعنى المتخيَّل بوجود «مع» هو المصَاحبة.

---

(١) ابن هشام، مغنى اللبيب. مطبعة الحلبي، جـ٢، ص١٨٠.
(٢) المرجع السابق جـ٢، ص١٨٠.
(٣) المرجع السابق جـ١، ص٩٥.
(٤) الديوان جـ٣، ص٣١٠، ٣١٢.
(٥) انظر شرح البيت بالديوان جـ٣، ص٣١٠.

ب- ورود الباء بمعنى «عَلَى» الاستعلائية:

يقول:

لَوَيْتُ بِهِ كَفِّي، وأطْلَقْتُ سَاعِدِي وقُلْتُ لِنَفْسِي: وَيْكِ قَامِضْ على رِسْلِ[1]

والمعنى الظاهر من السياق: لويت بالنصل كفي[2]، أي الاحتواء والضم. والمعنى المتخيَّل: لويت كفي على النصل، أي أمسكته بقوة.

ج- ورود الباء بمعنى «مِنْ» التي للتبعيض:

يقول:

كَيْفَ لاَ تَهْتِفُ الحَمَامُ عَلَيْهِ وهْيَ تُسْقَى بِهِ سُلاَفَةَ قَنْدِ[3]

أي: تُسقى منه....، أي من النيل.

والمعنى في «تسقى به» أن ثمة مساعدة من النيل ومعاونة منه في سقى الحمام. وفي «تُسقى منه...» دلالة على أن هذه السلافة - وهي أفضل الخمر - هي بعض ما في هذا النيل.

د- ورود الباء بمعنى «في» الظرفية:

يقول:

شِعْرٌ جَمَعْتُ بِهِ ضُرُوبَ مَحَاسِنٍ لَمْ تَجْتَمِعْ قَبْلِي لِحَيٍّ مُلْهَمِ[4]

فالمعنى على وجود الباء أن شعره هو سبب وجود هذه المحاسن، وعلى تقدير في أنه قد جمع في شعره محاسن لم تجتمع لشاعر غيره.

هـ- ورود الباء بمعنى «عِنْدَ»:

يقول:

وبِي مِن صَمِيمِ العُرْبِ حَوْرَاء طَفْلَةٌ نَحِيلَةُ مَجْرَى البَنْدِ، زَيَّا المَعَاصِمِ[5]

---

(١) الديوان جـ٣، ص٩١.
(٢) انظر شرح البيت بالديوان جـ٣، ص٩١.
(٣) الديوان جـ١، ص٢٦١.
(٤) الديوان جـ٣، ص٤٩٦.
(٥) الديوان جـ٣، ص٤٢٤.

يريد.. «وعندى حوراء طفلة....».

والمعنى الظاهر من البيت أن هذه المحبوبة ملاصقة له، فهى جزء منه، والآخر المتخيَّل يوحى بالامتلاك والاستئثار.

(٢) الفاء:

ورود الفاء بمعنى واو العطف:

يقول:

قِفَا بِى قَلِيلًا، وانظُرَا بِىَ، أشْتَفِى ... بَلَثْم الحَصَى بَيْنَ اللَّوَى فَالنَّعَائِمِ[١]

يريد: «بين اللوى والنعائم»[٢].

والمعنى على وجود «الفاء» فيه إسراع إلى تقبيل منازل الحبيبة ولهفة إلى ذلك، وعلى تقدير «الواو» يعنى الرغبة في لثم حصى ديار الهوى دونما تمييز بينها.

(٣) اللام:

أ- ورود اللام بمعنى «إلى» الجارة:

يقول:

تَسَابَقْ فِي المَكَارِمِ تَعْلُ قَدْرًا ... فَسَبْقُ النَّاسِ لِلخَيْرَاتِ نَضْلُ[٣]

وعلى وجود «اللام» فالمعنى أن سبق الناس في المكارم هو للخيرات نضل أى غلبة لها وإعلاء لشأنها، وعلى تقدير «إلى» يكون المعنى أن سبقك الناس إلى الخيرات فوز لك ونصر.

ب- ورود اللام بمعنى «على» الاستعلائية:

يقول:

نَحْنُ فِي الحُبِّ سَوَاء ... كُلنَا يَبْكِي لِغُصْنِ[٤]

---

(١) الديوان جـ٣، ص٢٩٥.

(٢) انظر شرح البيت بالديوان جـ٣، ص٢٩٥. وقد ذكر بعضُهم أن الفاء «لا تفيد الترتيب في البقاع ولا في الأمطار». ابن هشام: مغنى اللبيب، جـ١، ص١٣٩.

(٣) الديوان جـ٣، ص٢١٦.

(٤) الديوان جـ٤، ص١٤١.

والمعنى الظاهر: كلنا - أى هو والحمامة - يبكى للغصن حتى يرق لنا ويشاركنا همومنا، والمعنى المتخيَّل: أننا نبكى ونحن على الغصن.

ج- ورود اللام بمعنى «مِنْ» التي للتبعيض:

يقول:

فَمَا مَضَتْ سَاعَةٌ، أوْ بَعْضُ ثَانِيَةٍ إلاّ وللصَّيْدِ فِي سَاحَاتِنَا نُزُلُ[1]

وعلى وجود اللام في «للصيد في ساحاتنا نزل» فالمعنى أن ما صدناه كان له في دُورنا منزل ومستقر، وعلى تقدير «من» يكون المعنى أنه كان مما صدناه طعام وفير وخير كثير[2].

د- ورود اللام بمعنى «في» الظرفية:

يقول عن الخمر:

لَعِبَ الزَّمانُ بها ، فَغَادَرَ جِسْمَهَا شَبَحًا تَحَارُ لِذِكْرِهِ الأفْهَامُ[3]

فثمة معنيان: الأول أن حيرة هذه العقول مردها أنها تحاول معرفة الحقيقة... والثاني أن هذه العقول حائرة في إدراك هذه الحقيقة.

ثانيًا: الحروف ثنائية البناء:

(١) إنْ:

ا- ورود «إنْ» بمعنى «قَدْ» التي للتحقيق:

يقول:

والنَّاسُ شتى وإنْ هُمُ اجْتَمَعُوا فِي وَاحِدٍ لَيْسَ قَبْلَهُ أحَدُ[4]

إذْ المقصود «بالواحد الذي ليس قبله أحد» آدم عليه السلام، وبذا لا تكون «إنْ» - في هذه الحال - إلا بمعنى قد، ويكون التقدير: «والناس شتى وقد اجتمعوا في واحد.....

---

(١) الديوان جـ٣، ص١٦٦.

(٢) انظر شرح البيت بالديوان جـ٣، ص١٦٦.

(٣) الديوان جـ٣، ص٣٢٣.

(٤) الديوان جـ١، ص٢٨٦.

ويقول:

رضِيتُ منَ الدُّنْيا وإن كُنْتُ مُثْرِيًا بِعِفَّةِ نَفْسٍ لاَ تَمِيلُ إلى الوَفْرِ[1]

فهذا البيت من قصيدة نظمها في منفاه بسرنديب، يؤكد فيه - من خلال التركيب المبدوء بـ«إنْ» - أنه كان مثريًا أي غنيًا، فالمعنى: «رضيت من الدنيا وقد كنت مثريًا...».

ب- ورود «إنْ» بمعنى «لَـوْ» الشرطية:

والفرق بين «إنْ» و«لَوْ» - وهما أداتا شرط - أنَّ «إنْ» تتسم بسمتين أساسيتين:

الأولى: أنها تفيد الشك، أى تفتقر إلى التأكيد.

والأخرى: أنها تأتى للاستقبال، أى «لعقد السببية والمسببية في المستقبل»[2].

أما «لَوْ» فهى تأتى للماضي، وتفيد «تقييد الشرطية بالزمن الماضى»[3]، كما أنها «تكون حرف شرط للمستقبل»[4]، إلا أنَّ المضى فيها أوضح من الاستقبال، فهى «شرط للماضى غالبا»[5].

ومن أمثلة ورود «إنْ» بمعنى «لَوْ» قوله:

قَدْ يَرْفَعُ العِلمُ أقوامًا وإنْ تَرِبُوا ويَخْفِضُ الجَهْلُ أقوامًا وإنْ خَزَنُوا[6]

أي: ولو تربوا... ولو خزنوا.

وقوله:

دَعِ المَخَافَةَ، واعْلَمْ أنَّ صَاحِبَهَا وإن تَحَصَّنَ لاَ يَنْجُو مِنَ الغِيَلِ[7]

أى.. ولو تحصن..

وقد وردت «إنْ» بمعناها الشرطى الحقيقي في ثلاثة وتسعين ومائتي بيت..

---

(١) الديوان جـ٢، ص١٤.

(٢) ابن هشام، مغنى اللبيب، جـ١، ص٢٨٦.

(٣) المرجع السابق جـ١، ص٢٠٥.

(٤) المرجع السابق جـ١، ص٢٠٨.

(٥) السيوطي: همع الهوامع، شرح جمع الجوامع، جـ٢، ص٦٤.

(٦) الديوان جـ٤، ص٣٦.

(٧) الديوان جـ٣، ص٢٢٨.

وجاءت بمعنى «قَد» في واحد وثلاثين بيتا، وبمعنى «لَوْ» في ثلاثين بيتا في الديوان. ونخلص من هذا إلى حقيقتين:

الأولى: وهي خاصة، وتتمثل في تَمَسُّكِ «إنْ» - في الديوان - بشرطيتها وبمعناها الأصلي.

والأخرى: وهي عامة، وخلاصتها أنه ليس كل ترتيب يحوى في سياقه الأداة «إنْ» يُعَدُّ تركيبًا شرطيًا، إذ الشرطية تعنى تعليق معنى على آخر، أو حدث على غيره[1].

(٢) أوْ:

أ- ورود «أوْ» بمعنى واو العطف:

يقول:

فَيَا قَلْبُ صَبْرًا إنْ أَلَمَّ بِكَ النَّوَى ... فَكُلُّ فِـرَاقٍ أوْ تَـلاَقٍ لَـهُ حَـدُّ[2]

وعلى وجود «أوْ» بمعناها الأصلي فثمة إبهام في المعنى: هل الحد للفِراق أم للتلاقي.. أما عند تقدير «الواو» فالمعنى - حينئذ - أن كلاً من الفراق والتلاقي له حد.

ب- ورود «أوْ» بمعنى «حَتَّى»:

يقول:

فَلاَ تَبْرَحُوا أوْ تَسْـأَلُوهَا، فَـرُبَّمَا ... أَعَادَتْـهُ، أو جَاءَت بِوَعْدٍ مُقَارِبِ[3]

والمعنى الظاهري التخيير بين أمرين، والآخر تعليق الأمر الأول على حدوث الأمر الثاني أي: فلا تبرحوا حتى تسألوها[4].

---

(١) انظر: فتح الله أحمد أحمد سليمان، الجملة الشرطية في شعر البارودى. رسالة ماجستير مقدمة لقسم اللغة العربية بآداب القاهرة، (١٩٨٢م) ص٤، ٩.

(٢) الديوان جا، ص٢١١.

(٣) الديوان جا، ص١٠٧.

(٤) في هذه الحالة «تضمر مع أوْ (أنْ) وذلك إذا كان معناها معنى حتى». الرمانى، معانى الحروف، ص٧٩. كما يكون الفعل المضارع الواقع بعد «أوْ» منصوبا بأنْ المضمرة. انظر: ابن هشام: مغنى اللبيب، جا، ص٦٤.

(٣) ما:

ورود «ما» بمعنى «مَنْ» الموصولة:

يقول:

لقد علقتْ ما ليس للنَّفْسِ دُونَهَا غَنَاءُ، ولا مِنْها لِذى صَبْوةٍ وضل[١]

و «ما» - باعتبارها اسمًا موصولاً - تأتى لغير العاقل، وقد وردت في الموضع السابق للعاقل.

والمعنى على وجود «ما» بمعناها الأصلى يفيد التعمية على هذه الحبيبة... وبمعنى «التى» فيه تصريح بهواه.

(٤) عَنْ:

أ- ورود «عَنْ» بمعنى «مِنْ» الجارة:

يقول:

مَضَى زَمَنٌ لَمْ يأتِنِى عَنْكَ قَادِمٌ بِبُشْرَى، وَلَمْ يَعْطِفْ عَلَىَّ بَرِيدُ[٢]

وعلى وجود «عَنْ» بمعناها يكون المعنى: لم يأتنى قادمٌ ينوب عنك ويطمئنى ببشرى.. وبتقدير «مِنْ»: لم يأتنى رسولٌ منك.. ففى الأول إنابة، وفي الثاني حضورُ رسول فحسب.

ب- ورود «عَنْ» بمعنى «الباء» الجارة:

يقول:

سَلْ مِصْرَ عَنِّى إنْ جَهِلْتَ مَكَانَتِى تُخْبِرْكَ عَنْ شَرَفٍ وَعِزٍّ أقْدَمِ[٣]

وثمة معنيان: الأول أن مصر تحكى لك - إنْ سألتها - عن الشرف والعز.. والآخر: أنك إنْ جهلت مكانى وسألت مصر عنى فهى تخبرك بأمرى، ثم تتجاوز ذلك إلى إخبارك بالشرف والعز الأقدم.

---

(١) الديوان جـ٣، ص٤٨.

(٢) الديوان جـ١، ص٢٢٠.

(٣) الديوان جـ٣، ص٤٨٨.

(٥) مِنْ:

أ- ورود «مِن» بمعنى «أم» الاستفهامية:

يقول:

أَدُورُ، وَلاَ أَدْرِى وإنْ كُنْتُ حَازِمًا يَمِينىَ أدنى لِلْهُدَى مِنْ شِمَالِيَا[١]

أى: لا أدرى... يمينى أدنى للهدى أم شماليا[٢]

وقد يكون هناك حذف لأداة الاستفهام في عَجُزِ البيت، وتكون مِنْ - في هذه الحالة - واردة للفصل، إذ إنها دخلت على ثاني المتضادين[٣]، والمعنى على هذا: لا أدرى أيمينى أدنى للهدى من شماليا.

ب - ورود «مِن» بمعنى «عَنْ» التى للمجاوزة:

يقول:

أنَا الَّذِى عَرفَ الأيَامَ، وَانْكَشَفَتْ لَـهُ سرائرهـا مِـنْ كُلِّ مُخْتَزَنِ[٤]

والمعنى - على بقاء «مِنْ» بمعناها الأصلى - أن ما اكتُشِفَ من المختزنات يبين هذه السرائر ويوضحها.... وبتقدير «عَنْ» فالمعنى أن سرائر الأيام قد انكشفت عن كل ما تحتها من الخفايا والمختزنات[٥].

ج- ورود «مِن» بمعنى «فِي» الظرفية:

يقول:

فَلَمْ يَبْـقَ مِـنْ كَـلْبٍ عَقُورٍ وَكَلْبَةٍ مِنَ الحَىِّ إلاَّ جَاء بِالعَمِّ والخَالِ[٦]

فـ «مِنْ» في عَجُز البيت - وهي المعنية هنا - إذا كانت بمعناها الأصلى فهى تفيد الانتساب، أى انتساب هذه الكلاب إلى هذا الحى.. وإذا كانت بمعنى «فى» أفادت الشمول والاستغراق، أى انطباق الحكم في البيت على كل كلاب الحى.

---

(١) الديوان جـ٤، ص٢٢١.

(٢) انظر شرح البيت بالديوان جـ٤، ص٢٢١.

(٣) ابن هشام، مُغنى اللبيب، جـ٢، ص١٦.

(٤) الديوان جـ٤، ص٧٩.

(٥) انظر شرح البيت بالديوان جـ٤، ص٧٩، ٨٠.

(٦) الديوان جـ٣، ص٢٥١.

(٦) في:

أ- ورود «فِي» بمعنى «مَعَ»:

يقول:

ذكَاء «أرسْطَالِيسَ» في حِلْم «أحْنَفٍ» وَهِمَّةُ «عَمْرو» في سَمَاحةِ حَاتِم[١]

وعلى وجود «في» بمعناها الأصلى فالمعنى أن حِلْمَ الممدوح يشبه حِلْمَ أحنف، وهمته تماثل همةَ عمرو، وسماحته مناظرة لسماحة حاتم. وعلى اعتبارها بمعنى «مع»[٢] فالمعنى أن الممدوح يجمع في شخصيته كل هذه الصفات مجتمعة دونما فصل بين صفة وأخرى، فالصفات في المعنى الأول متفرقة وفي الثاني متحدة.

ب- ورود «فِي» بمعنى «عَلَى» الاستعلائية:

يقول:

وبـوَارِق تَـنْـهَـلُ فِينَـا بالنَّـدَى وصَـواعِـقٌ تَنْقَـضُّ فِي الأعْدَاء[٣]

والمعنى على بقاء «فى» في شطرَى البيت فيه استغراق.. وعلى تقدير «عَلَى» فيه استعلاء.

ج- ورود «فِي» بمعنى «مِنْ» التي للتبعيض:

يقول:

هَجَرْتُ لَهَا أهْلِى، وفَارقْتُ جِيرَتِى وَغَاضَبْتُ فِى الخُلاَّنِ مَنْ كَانَ رَاضِيا[٤]

أى: وغاضبت فيهم رضاءهم.... أو وغاضبت منهم من كان راضيًا[٥].

د- ورود «فِي» بمعنى «لام» الجر:

يقول:

فَفِيمَ يَخَافُ المَرْءُ سَوْرَةَ يَوْمِـه وفِي غَدِه مَا لَيْسَ مِنْ وقْعِهِ بُدُّ[٦]

---

(١) الديوان جـ٣، ص٢٩٩.
(٢) انظر شرح البيت بالديوان جـ٣، ص٢٩٩، ٣٠٠.
(٣) الديوان جـ١، ص٧١.
(٤) الديوان جـ٤، ص٢٢٠.
(٥) انظر شرح البيت بالديوان جـ٤، ص٢٢٠.
(٦) الديوان جـ١، ص٢١٨.

أى: في أى شىء يكون خوف المرء؟... أو لم يخاف هذا المرء؟

ففي الأول سؤال عن مكمن الخوف... وفي الثاني استفهام عن سببه.

هـ- ورود «فِي» بمعنى «إلى» الجارّة:

يقول:

قَدْ حَبَّبَ المَوْتَ كُرْهُ الضَّيْمِ فِي نَفَرٍ ... لَوْلاَهُمُ لَمْ تَلُمْ فى العَالَمِ النَّعَمُ[1]

فإبقاء «فى» يجعل في المعنى شمولًا واستغراقًا، فهؤلاء الأباة قد أحبوا الموت كلهم.. وبتقدير «إلى»[2] يصير المعنى فيه جَلْبٌ، فَكُرهُ الضيم هو الذي جَلَبَ حُبَّ الموت إلى هؤلاء الأحرار.

و- ورود «فِي» بمعنى «الباء» الجارة:

يقول:

لَهُ بِالفَلاَ شُغْلٌ عَنِ المُدْنِ والقُرَى ... وفِي رائداتِ الخَيْلِ شُغْلٌ عَنِ الأهْلِ[3]

والمعنى على وجود «فِي»: أن «الشغل عن الأهل» سمة من سمات «رائدات الخيل»، وهى حياة المقامرة، وبتقدير الباء فالمعنى: أن شغله عن الأهل مرتبط برائدات الخيل.

(٧) لـــم:

ورود «لَمْ» بمعنى «لا» النافية:

يقول:

فَتُبْقِى بِمَا تُمْلِيهِ ألْسِنَةُ الهَوَى ... وَهْىَ الدُّمُوعُ، فَحَقُّهَا لَمْ يُدْفَعِ

لاَ تَحْسَبِى قَوْلِى خَدِيعَةَ مَاكِرٍ ... إنَّ الوفِىَّ بِعَهْدِهِ لَمْ يَخْدَعِ[4]

أى: «لا يدفع» و«لا يخدع»[5].

---

(١) الديوان جـ٣، ص٥٣٩.

(٢) انظر شرح البيت بالديوان جـ٣، ص٥٣٩، ٥٤٠.

(٣) الديوان جـ٣، ص٨١.

(٤) الديوان جـ٢، ص٢٢٨.

(٥) انظر شرح البيت بالديوان جـ٢، ص٢٢٨.

ولو استبدل «لا» بـ«لم» لأصبح الفعلان مرفوعين، مما يؤدى إلى الإقواء[1].

(٨) استعمال «يَا» لنداء القريب:

حرف النداء «يَا» يستخدم لنداء البعيد، وقد نُودى به القريب في قوله:

بَـا قَلْـبُ، مَـالَـكَ لاَ تُفِـيـقُ مِـنَ الهَـوَى؟ يَا قَـلْـبُ مَالَكَ؟[2]

إذ جعل قَلبَهُ - وهو المخاطَب - في مكان بعيد، أو كأنه لا يعرف أين قلبه الذي عشق[3].

وقد يكون نداؤه للقريب باستخدام «يا» تأكيدًا للمعنى وتقوية له، ودليل ذلك تكرار كل من النداء «يا قلب» والاستفهام «مالك» في عَجُز البيت.

ونخلص إلى أن «يَا» حرفٌ موضوع لنداء البعيد حقيقةً أو حكمًا، وقد ينادى بها القريب توكيدًا، وقيل هى مشتركة بين القريب والبعيد[4].

ويبدو جليًّا من دراسة ظاهرة التناوب بين الحروف في صورها المختلفة كيف أن إحلال حرف محل حرف آخر يؤدى إلى جلب معنيين في السياق: المعنى المفهوم من وجود الحرف المذكور، والمعنى المتخيل بافتراض الحرف المنتظر.

ثالثًا: الحروف ثلاثية البناء:

(١) إلى:

أ- ورود «إلى» بمعنى «فِي» الظرفية:

يقول:

فَقَدْ تَرَكَتْنِى سَاهِىَ العَقْلِ سَادِرا إلى الغىِّ لاَ عَقْدٌ لَدَىَّ وَلاَ حَلُ[5]

أى أن السَّدَر - وهو التحير - سيسير به إلى طريق الغى - أى الضلال... أو أنها - أى عيون الحسان - قد تركته حائرا في الغى.

---

(١) الإقواء هو اختلاف حركة المجرى بكسر وضم، وهو عيب من عيوب القافية.
(٢) الديوان جـ٢، ص٣٧٥، وقد ورد في موضع آخر بالديوان جـ٣، ص٢٥٤.
(٣) انظر شرح البيت بالموضعين السابقين.
(٤) ابن هشام: مغنى اللبيب، جـ٢، ص٤١.
(٥) الديوان جـ٣، ص٤٤.

ب- ورود «إلَى» بمعنى «اللام» الجارة:

يقول:

فَمَنْ إلى مَلْجَأ الضَّعيفِ إذَا أقْبَلَ لَيْلٌ وأطبقتْ ظُلَمُهْ[1]

فثمة معنيان: الأول «فمن يندب، أو يسارع إلى إعانة الضعيف، وإجارته؟»[2]. والثاني «فمن يُرتجى لحماية الضعيف؟»[3].

(٢) أمـا:

ورود «أمَا» بمعنى «ألاَ» الاستفتاحية:

يقول:

أمـا وَهِـلاَل فِى دُجُنَّـةِ طُـرَّةٍ بَلُـوحُ وَدُرٌ فى عَقِيقٍ مَبَاسِـم

لَقَدْ أَوْدَعَ البَيْنُ المُشِتُّ بِمُهْجَتِى نَدوبًا، كآثرِ الوَشْمِ مِنْ كَفٍّ واشِمِ[4]

فـ«أمَا» حرف استفتاح بمعنى «ألاَ»، وهو يأتى بهذا ويكثر قبل القَسَم[5].

(٣) على:

أ- ورود «عَلَى» بمعنى «لام» التعليل:

يقول:

مَضَـى وأقَمْنَـا بَعْـدَهُ فَى مَـأتَـم عَلَى الفَضْلِ نَبْكِيه بأحْمَرَ قَانِى[6]

والمعنى على وجود «عَلَى»: أن المأتم قد أقيم على الفقيد وهو الفضل،وعلى تقدير «اللام» أن حزننا - على المرثى - كان لفضله وإحسانه[7].

---

(١) الديوان جـ٣، ص٤١٨.

(٢) انظر شرح البيت بالديوان جـ٣، ص٤١٨.

(٣) انظر شرح البيت بالديوان جـ٣، ص٤١٨.

(٤) الديوان جـ٣، ص٢٨٤، ٢٨٥.

(٥) انظر شرح البيت بالديوان جـ٣، ص٢٨٤، وابن هشام: مغنى اللبيب جـ١، ص٥٢.

(٦) الديوان جـ٤، ص٩٩.

(٧) انظر شرح البيت بالديوان جـ٤، ص٩٩.

ب- ورود «عَلَى» بمعنى «مَعَ»:

يقول:

أصْبُو إلَيْهَا عَلَى بُعْدٍ، وَيُعْجِبُنِى أنّى أعِيشُ بِهَا فِي ثَوْبِ إملاقِ[1]

أى أصبو إلى روضة النيل على البُعْدِ.. أو أصبو إليها رغم بعدى عنها[2]. فالمعنيان يختلفان من حيث إن في الثاني مفارقة.

ج- ورود «عَلَى» بمعنى «الباء» الجارة:

يقول:

أتزْعمنى خِلاً وَتَهْجُرُ سَاحَتى عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ؟ إنّ ذَا لَعَجِيبُ[3]

أى: وتهجر ساحتى غير معتمد أى ذنب... أو وتهجر ساحتى بغير ذنب...

* * * * *

(١) الديوان جـ٢، ص٣٢٩.

(٢) انظر شرح البيت بالديوان جـ٢، ص٣٢٩.

(٣) الديوان جـ١، ص١٢٣.

النتائج

يمكن إيجاز النتائج العامة المستخلصة من التناوب فيما يلي:

(١) أن استبدال فعل بفعل آخر، أو إحلال فعل محل غيره يؤدى إلى توسيع المعنى وإثرائه من حيث إن هذا الإحلال يجعل الفعلين مصطحبين، ومن ثم يصطحب المعنيان.

(٢) أن العلاقة بين الفعلين - الوارد والمنوب عنه - قد تصل إلى حد الترادف في الاستعمال، وقد تكون هذه العلاقة سببية، أى: أن أحد الفعلين مُسَبِّبٌ للآخر، كما في الفعلين: «أشتاقُ» و«أحبُّ» فالحب مسبب للشوق. وقد ترجع هذه العلاقة إلى اشتراكهما في الدلالة كما في «استقاد» و«بَادَلَ»، فالقَودُ هو قتل النفس بالنفس، والمبادلة تعنى أخذ شيء مكان غيره، ومن هنا يشترك الفعلان في الدلالة على معنى التعويض. وقد تنشأ هذه العلاقة من الارتباط المثالى بين الفعلين، ويُقصد به ما ينجز عن أحدهما من معانٍ ليست بالضرورة واقعة، وإنما وقوعها مفترض، ومثال ذلك الفعلان: «قرأ» و «فهم» فليس ضروريًا أن يتبع الفهمُ عمليةَ القراءة، لكن يُفترض أن يقترن بها.

وقد يكون بين الفعلين ارتباط عكسي، أى أن أحدهما عكس الآخر كما في «ترى» و«تسمع» كما قد يجمع بينهما الارتباطُ الجزئي، أى أن يكون أحد الفعلين من معانى الفعل الآخر، كما في الفعلين «قَطَع» و «شَلَّ»، إذ القطع أحد معانى الشلل.

(٣) أن التناوب بين الأسماء يُبْرِزُ إلى حد كبير ارتباط الشاعر الوثيق بالتراث الشعرى القديم، ويُظْهِرُ ثقافتَه العربية الأصيلة، إذْ إن الألفاظ الواردة في هذه الظاهرة مستمدة من البيئة البدوية في كثير من المواضع، ومن ثم فهى تعكس تَأَثُّره بالموروثات القديمة وتُبَيِّنُ محاكاته للقدماء، في الوقت الذي لم يغفل بعض مظاهر الحياة العصرية.

(٤) أن العلاقة بين الألفاظ الواردة والأخرى المنوب عنها قد تكون علاقة مكانية، بمعنى أن اسم المكان يَرِدُ بمعنى الاسم ذاته، وقد يكون اللفظ المذكور أكثر دلالة على المعنى المراد من مثيله المنوب عنه، كما قد تكون العلاقة بين اللفظين راجعة إلى اشتراكهما معًا في الدلالة وأحيانًا يصبح اللجوء إلى لفظ بعينه بدلًا من لفظ آخر ضرورة لتحقيق التجانس في السياق والمزاوجة بين صدر البيت وعَجُزه.

(٥) أما في المصادر فالتناوب بينهما إما أنْ يَنْبُعَ من وجود علاقة بين ما هو مذكور ونظيره

المنوب عنه، أو أنَّ المصدر الوارد أكثرُ دلالة على ما هو مقصود من حيث إنه يضيف إلى السياق دلالات جديدة. وقد تصل العلاقة بين المصدرين إلى حد الترادف بينهما في الاستعمال. أما إحلال المصدر محل الصفة فيأتى للمبالغة والتأكيد.

(٦) أن التناوب بين الحروف يعنى إضافة معنى آخر إلى المعنى المُفتَرَض بوجود الحرف المقصود، أى أن إبدالَ «حرف بحرف لا ينجز عنه تعويضُ معنى بمعنى، بل إرداف معنى بمعنى، فإن حضور معنى الحرف المحذوف والذي كان ظهوره منتظرًا هو بمنزلة حضور معنى الحرف المستعمل»[1].

* * * * *

(١) محمد الهادي الطرابلسي: خصائص الأسلوب في الشوقيات، ص٤٩٥، ٤٩٦.

obeikandl.com